

# المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع بعد المائة

٥ محرم سنة ١٣٦٣

١ يناير سنة ١٩٤٤

## عجائب البنيسيلين

العقار الذي ينافس عقاقير « السلفا »

تردّد ذكر البنيسيلين خلال شهر ديسمبر الماضي ، مقروناً بمرض المستر تشرشل وشفائه ، وبشفاء الاميرة نعمت مختار وبتكريم مكتشفه الكسندر فلمنج . وهو عقار جديد فعال نافس عقاقير « السلفا نيلاميد » في بحوث العلاج الجديدة حتى بزها . وقد كانت عقاقير « السلفا » الى عهد قريب خير ما كشفه العلماء لعلاج طائفة من الامراض ، فلم تكد تنقضي عايتها منوات حتى أصبحت في المرتبة الثافية في علاج بعض الامراض ، وغدا البنيسيلين في المرتبة الاولى وقد كان « المقتطف » أمبق المجلات العربية الى نشر بحث واف في هذا الموضوع في أول السنة الماضية ، ولا يزال ما نشرناه حينئذ ، من أوفى ما كتب في هذا الموضوع بالعربية في أصل العقار وطريقة كشفه وامتحان خواصه ، فنعيد نشره هنا على ان نتبع به ما جدّ في هذا الموضوع الخطير ، وما هي الامراض التي تعنو للعلاج به

### كيف كشف

البنيسيلين مادة تستحضر من نوع خاص من العفن وتفك بطائفة من الجراثيم . وقصة كشفها من القصص التي يحفل بها تاريخ العلم ، إذ يجتمع فيها عناصر المصادفة والذهن العلمي المهيأ لتبيين الجديد غير المؤلف . وقد بدأت هذه القصة في معمل بحث في لندن ، حيث نحى الباحث فلمنج مزدراً للجراثيم ، لكي يفحصه عندما تواتيه الفرصة . ومزدورع الجراثيم طبق تنمو الجراثيم فيه في مادة تصلح غذاء لها . وهذه الأطباق عندما تفحص في الحين بعد



الحين، تتعرض طبعاً للتلوث بما في هواء المعمل من جراثيم. فلما أخذ الباحث هذا الطبق الخاص لفحصه، وجد فيه بقعة من العفن، تشبه شبيهاً كبيراً العفن الذي يظهر كثيراً في الجبن أو غيره من ألوان الطعام ولكن العفن الذي ظهر في هذا المزدرع لم يكن من العفن المؤلف، بل بدا أن له قوة عجيبة لم تكن معروفة، لأن الجراثيم القريبة من البقعة — وكانت جراثيم ستافيلوكوكوس — كانت قد أخذت تشف وتنفخ وتتحل. أي أنها كانت في سبيل الزوال أو الموت فلما فحص هذا العفن ثبت أنه العفن المعروف باسم بنيسيليوم نوتاتوم *Penicillium notatum* ومنه حضرت المادة المقاومة لفعل البكتريا التي اتخذناها عنواناً لهذا المقال — أي مادة «البنيسيلين» *Penicillin* وهي لا تستخرج من نوع آخر من العفن. فالبنيسيليوم نوتاتوم له قريب يدعى بنيسيليوم روبرم *Penicillium rubrum* ولكنه لا يصلح لاستخراج مادة البنيسيلين منه على ما يعلم

### تأثيره في الجراثيم

وقد عني كاشف هذه المادة — الأستاذ الكسندر فلمنج *Fleming* — ببحثها من جميع الوجوه لتبين تأثيرها في قتل الجراثيم. ولعل وصف إحدى تجاربه كاف لتبيان ما فعل. فقد أخذ طبقاً ووضع فيه المادة التي تصلح غذاء للجراثيم. وفي منتصف الطبق شقاً ثلثاً وملاء بمادة البنيسيلين المستخرجة من العفن الخاص. ثم وضع على جانبي الثلم لطحاً من أصناف شتى من البكتيريا. وهي باشلس القولون <sup>(١)</sup> (*B. Coli*) والباشلس الستولونيوكوي <sup>(٢)</sup> ثم الباشلس الستربتوكوكوي <sup>(٣)</sup> فالنوموكوكوي <sup>(٤)</sup> فالغونوكوكوي <sup>(٥)</sup> فالدفثيري فالانفلوزي. ثم لاحظ فلمنج أن معظم هذه الجراثيم توقف عن النمو في اتجاه الثلم حيث البنيسيلين، وأن مستعمراتها أخذت تنقلص، ما عدا باشلس القولون والباشلس الانفلوزي (باشلس فيفر)

ثم إن علماء البكتيريا يقسمون طوائف البكتيريا تقسيماً آخر، وفقاً لتأثيرها بالأصباغ التي تصبغ بها لأظهارها على شرائح المجهر. فمنها ما ينصبغ ومنها ما لا ينصبغ. فالطائفة الأولى تعرف بوصف طائفة «غرام الايجابية» والثانية بوصف طائفة «غرام السلبية». وفي هذه المباحث التي أدارها فلمنج والتجارب التي جرّبها، ظهر أن الجراثيم التي تنصبغ (أي غرام الايجابية) تعنو لفعل البنيسيلين، وأما الأخرى فلا. ومن الطائفة الأولى في الحالين الباشلس الستربتوكوكوي، ومن الثانية في الحالين باشلس القولون وباشلس فيفر الانفلوزي

(١) كروي صغير قطر أصغره ربع جزء من مليون جزء من البوصة. فإذا انقسم انقساماً منتظماً ألف سلسلة من الستربتوكوكيس وإذا انقسم انقساماً غير منتظم ألف عنقوداً من الستافيلوكوكوس  
(٢) يحدث الالتهاب ويوجد في حالات الزكام والالتهاب المعوي في الاطفال (٣) يوجد في الدمال وحالات تسمم الدم وغيرها (٤) مكروب النزلة الصدرية (٥) مكروب أحد الامراض التناسلية (السيلان)



بعد ذلك جربت تجارب أخرى متعددة ، غرضها ، الكشف عن خواص البنيسيلين وفعله في أحوال معينة فظهر ان احماءه الى درجة الغليان مدى ساعة يضعف قوته الى ربعها . وإحماءه الى درجة أعلى من الحرارة يقضي عليه . ولكن الترشيح لا يؤثر في قدرته على الفتك بالجراثيم . أما مادته الفعالة فتحل بسهولة في الماء . وخير درجة حرارة لتحضيره هي درجة حرارة الحجرة العادية . وفعله أي فتكه بالجراثيم ، يستمر واضحا ثمانية أيام الى عشرة ويزول بعد انقضاء أسبوعين على تحضيره . وفعله المطهر بطي فهو يستغرق أربع ساعات ونصف ساعة للفتك بالجراثيم الستربتوكوكية

### يقتل الجراثيم ولا يسم الجسم

ولعلّ أظهر خواصه انه لا يفتك إلا بالجراثيم ، ولا يسم جسمًا حيًا آخر كجسم فأر أو أرنب أو جسم إنسان ، أو انساجها . ولا هو يهيج هذه الانساج . وقد وضع على جرح فلم يهيجه ، وإذا حل ٨٠٠ ضعف المطهرات الأخرى ظل أفعال منها . وكان مدار التجارب الأخرى ، معرفة تأثيره في البشر ، ولم تنتج الفرصة لتجريبه في حوادث كثيرة ، وقت كشفه . لأن المتاح من البنيسيلين كان قليلاً . ولكنه جرب — على قدر المستطاع — في حوادث كان خمس منها حوادث خطيرة . فشفي حالة حادة في العين بالاستعمال الخارجي ، وأزال حالات التهاب داخلي . وسجلت هذه الحالات وطرق معالجتها حينئذ . فأحدث ذكرها هزة في الدوائر الطبية والعلمية . ولكن الاهتمام العام به ضعف بعد ذلك ، بغير ان يضعف الاهتمام الخاص بدراسته ، وعلى وجه خاص في لندن واكسفورد وغيرها

ومما ثبت خلال هذه الفترة ، انه يصلح لفصل البكتيريا بعضها عن بعض . فمن الجراثيم المؤذية ما يصعب استفراده ، لأنه ينمو وتنمو حوله جراثيم أخرى . ولكن اذا كانت الجراثيم المؤذية مما لا يتأثر بالبنيسيلين ، والجراثيم الأخرى مما يتأثر به ، استطاع الباحث أن يقضي على هذه الجراثيم وأن يكشف الجراثيم الأولى أي يعزلها . فباشلس فيفر الانفلونزي يُقسر على كشف نفسه بهذه الطريقة ، لأن البنيسيلين يفتك بجماعة باشلس الستربتوكوكس والستافيلوكوكس وغيرها وهي التي تحيط به ، ولأن الباشلس الانفلونزي لا يتأثر به

ان النتائج الباهرة التي أسفر عنها هذا البحث العلمي الدقيق ، حجبتها في السنوات الأخيرة ، الاهتمام بالعقاقير السلفوناميدية وعجائب فعلها ، ولا سيما لأن السلفوناميدات مواد كيميائية وتحضير مقادير كبيرة منها ، لا يعوقه عائق ما . أما البنيسيلين فمادة طبيعية ولا يستخرج الا من مادة واحدة هي بنيسيلوم نوتاتوم . والمقادير المتاحة منه يسيرة الآن . والسعي العلمي متجه الى توفيرها . وهو يحضر كما يلي : ان مستعمرة العفن ( بنيسيليوم



نوتاتوم) كتلة هشة بيضاء وتتكاثر وتكبر في سرعة ، وبعد أيام تتولد بزيارات خضراء قائمة ثم تتحول سوداء . وبعد فترة يتحول العفن ، وفقاً للوسط الذي ينمو فيه ، فيغدو لونه أصفر أو محمراً فإذا وضع في طبق من مرق اللحم ، طفت هذه المجموعات الهشة على سطحه فتغطيه بطبقة خضراء قائمة ، لا يختلف مظهرها عن مظهر سطح الماء الراكد في بركة . والمرق تحت هذا السطح يتحول أصفر الى برتقالي ومن هذا السائل يستقطر البنيسيلين . ومن الواضح أن المقادير التي تخضر منه على هذا المنوال لا يمكن أن تكون كبيرة . والبحث في اكسفورد خاصة متجه الآن الى تنقيته ، والحصول عليه مبلوراً . ولم يتمكن الباحثون حتى أواخر السنة الماضية (١٩٤٢) من الحصول عليه نقياً تام النقاء . وفعله يزداد وفقاً لنقاؤه . وإذا كان نقاؤه نصف تام ، كفي محلول منه يبلغ جزءاً في مليون جزء من الماء للقضاء على الجراثيم التي ثبت أنها تتأثر به (غرام الايجابية) وإذا كان نقياً قريباً من التام كفي ، محلول يبلغ جزءاً في ٢٥ مليون جزء من الماء ، لاجداث الفعل نفسه

ومما يستوقف النظر بوجه خاص ، أنه كلما كان البنيسيلين قريباً من درجة النقاء التامة ، كان فعله السمي أقل سواء في ذلك أجسام البشر أو أجسام الفئران . ولكن فعله السمي يسير جداً كما تقدم . فقار يستطيع أن يتحملة اذا حقن بجرعة ، يبلغ وزنها ١.١١١ من وزن جسم الفأر . يقابل هذا ان فعل السلفوناميدات شديدة الفعل السمي ويجب تناولها بعناية وحرص . فالبنيسيلين أفعل كثيراً من السلفوناميدات وزناً بوزن وأقل فعلاً سميّاً منها

فعله في المرضى

ان امتحان تأثير البنيسيلين في المرضى من الناس حديث العهد وقد أسفر هذا الامتحان عن نتائج تبعث على الدهش ، فهو ينافس عقاقير « السلفا » في شفاء بعض الامراض وينجح حيث يتحقق هي . وهذا لا يعني ان البنيسيلين يشفي كل مرض ويتغلب على كل ميكروب ولكنه يعني أنه أشد تأثيراً من كل عقار آخر عرف حتى الآن في شفاء طائفة كبيرة من الامراض مثل « ذات الرئة » والتعفن الناشئ عن جراثيم الستربتوكوكوس ، والسيلان والدمامل ، ويغلب جراثيم الستافيلوكوكوس التي تولد الصديد وتحدث احياناً تسمم الدم ، وينفع في التهاب الخلايا وكذلك في التهاب عظمة الأذن الخلقية . وبعض السلالات القوية من بعض هذه المكروبات لا تؤثر فيها عقاقير « السلفا » ولكنها تعنو لعقار البنيسيلين بمرعة فائقة وقديشذ عنها نوع ١١١ من ذات الرئة . وقد رويت حوادث لم يتغلب فيها البنيسيلين على ميكروبات هذه الاصابة ولكنه أضعف فعلها

وهنا حوادث اصابات كثيرة تروى عن فعل هذا العقار . منها ثلاث اصابات بسيلان



حاد ، مضى عليها احد عشر شهراً ، ولم ينجع فيها علاج ما حتى ولا عقاقير « السلفا » . ولكن لم تكد تنقضي سبع عشرة ساعة على بدء علاجها بالبنيسيلين ، حتى أخذت أعراض المرض تزول ، ومنها وجود الجراثيم في جسم مصابين . وبعد انقضاء ثمان وأربعين ساعة استطاع الثالث ان يبرح المستشفى معافى وليس في جسمه جراثيم سيلان

وبرغم الفعل العجيب الذي تتصف به عقاقير « السلفا » فانها محدودة التأثير في الميكروبات التي تولد الصديد فتحدث تعفنًا في الجروح والحروق والكسور المركبة وتحدث ما يعرف بأكلة ( غنغرينا ) الغاز . وبعض هذه الاصابات قد تستغرق شهوراً وأحياناً سنين قبل ان تشفى . وهي من الاصابات التي تكثر في ساحات القتال . ومع ذلك فقد ثبت ان البنيسيلين يشفيها شفاءً سريعاً تاماً وأنه مأمون العاقبة . ولذلك يخصص كل مليغرام يحضر منه الآن للاستعمال في المستشفيات الحربية ، ولذلك اضطر الطبيب البريطاني في قوات الشرق الاوسط ان يستأذن لندن قبل ان يستعمله في علاج الأميرة نعمة مختار على ما أنبأتنا به الصحف والمشقة الكبيرة التي يعانها مستحضروه في تحضيره قد صرفت عناية فريق من الباحثين الى الاهتمام بابتكار أساليب جديدة تجعل تحضير مقادير وافرة منه أمراً ميسوراً . وفي بعض المجلات العلمية التي اطلعنا عليها أخيراً أن النتائج تبشر بالنجاح . ومع ذلك يغلب أن يبقى ما يصنع منه موقوفاً الآن على الاستعمال الحربي على الأكثر ، الا في أحوال خاصة

ولا يعلم هل بين البنيسيلين وعقاقير « السلفا » صلة ما ، ولكن بينها وجوه شبه كثيرة . فالنوعان يؤثران بوجه عام في طائفة واحدة من الأمراض . ويلوح ان شكل تأثيرهما واحد . فهما لا يقتلان الميكروب على ما يظن ، بل يمنعه من التكاثر ، فتجوز عليه حماة الجسم <sup>(١)</sup> على ان عقاقير « السلفا » تؤثر في الجسم تأثيراً عفيفاً وتحدث أحياناً ألواناً من فقر الدم . فالجرع يجب ان تكون محدودة عدداً ومقداراً . ولكن تأثير البنيسيلين تأثير لطيف فاذا زادت الجرعة عن المقدار المحدد لم يتعرض الجسم لرد فعل قوي او لخطر عظيم . وعقاقير « السلفا » تحدث هبوطاً سريعاً في الحرارة يبعث على القلق وأما البنيسيلين فيخفض الحرارة خفصاً متدرجاً وأغلب الرأي أن أصل البنيسيلين يستوقف الذهن العلمي بقدر ما يستوقف فعله العلاجي أذهان الأطباء والناس . نعم ان الأطباء أصابوا في البنيسيلين أداة جديدة قوية لكفاح المرض ولكن البنيسيلين مستخرج من عفن . وأنواع العفن كثيرة وقد يستخرج من بعضها مواد أخرى تعين الانسان في هذا الكفاح . ولذلك أكتب العلماء على بحث أنواع شتى من العفن ويقال ان مادة تدعى « پيناتين » تستخرج مع البنيسيلين وتقوّه فعلاً في القتك بالبكتيريا .



# فلاسفة الرواق

للدكتور عثمان امين  
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

زينون

زينون هو زعيم الفلاسفة الرواقيين القدماء . ولد حوالي سنة ٣٣٦ قبل الميلاد بمدينة « كتيوم » بجزيرة قبرص على الشاطئ المقابل لفينيقييا . ويستحيل التوفيق بين جميع الروايات التي ذكرت اقبال « زينون » على الفلسفة بعد اشتغاله بالتجارة . ولكننا نستطيع أن نصدق ما قيل من انه جاء الى أثينا أول الأمر في شأن من الشؤون التجارية : تذهب أقدم الروايات عن « زينون » الى أن أباه كان تاجراً من تجار قبرص فاشترى في بعض أسفاره كتباً للسقراطيين وخصوصاً كتاب « المذكرات » لأكزنوفون . فلما قرأ زينون تلك الكتب رغب في الذهاب الى أثينا ليتلقى عن أولئك الاساتذة <sup>(١)</sup> . وتحدثنا رواية أخرى أن زينون كان في سفينة تحمل بضاعة من ارجوان الفينيقيين . فغرقت السفينة على مقربة من « بيري » ونجا زينون فقصده الى أثينا . ونقول نحن : لاشك أن التاجر الشاب وجد في أثينا عالماً جديداً لا عهد له به ، يتكلم الناس فيه عن أشياء تتجاوز أمور المكسب والخسارة في التجارة ، وإذا كانت الحركة الفلسفية مزدهرة بمدينة أثينا في ذلك الحين فلا عجب أن يرى زينون يجعل بلاد اليونان مقامه ويرتضيها لنفسه وطناً ثانياً . ويظل زينون في أثينا مقبلاً على التعلم متنقلاً من مدرسة الى أخرى غير قانع بما عند أستاذ واحد : يروون أنه كان يحضر دروس « اقراطيس » السكابي فلما سئما أراد أن يغادر مجلس ذلك الاستاذ ليستمع الى دروس « استلبون » الميغاري فجذبته « اقراطيس » من عباءته يريد أن يمنعه من الانصراف ، فقال زينون : « يا اقراطيس ان الفلاسفة لا يجذبون الا من آذانهم ! » ولعله يريد بذلك التعريض بما كان في التعاليم السكابية من فقر وقلة كفاية من الناحية العقلية . وتردد زينون على المدارس الفلسفية اليونانية زهاء عشرين عاماً . ولما أصاب منها بغيته اتخذ لنفسه مجلساً للتعليم مستقلاً في



ايوان ذي أعمدة هو الرواق المنقوش الذي كان فيما مضى منتدى للدباء والفنانين، ومن ذلك المكان اشتق اسم المدرسة الرواقية<sup>(١)</sup>

١ — شخصية زينون \* ولقد عاب بعض القدماء على زينون أنه جعل من مدرسته أشبه الأشياء بملجأ لأهل البطالة ومأوى للفقراء والمساكين . لكن آخرين يروون ما يفهم منه ان زينون كان بجانب العامة، وأنه لكي يتفادي مزاحمة الرعاع كان يشترط قدراً من المال لا بد ان يدفعه مستمعوه . ومهما يكن من شأن الجمهور الذي كان يختلف الى المدرسة الرواقية فالذي لا شك فيه ان نفوذ زينون على تلاميذه ومريديه كان نفوذاً بعيد المدى بل يكاد لا يحاربه نفوذ فيلسوف آخر في الزمن القديم : يروون ان الملك « انظيفون غوناطاس » كان من تلاميذ زينون والمعجبين به فلم يكن يفوته كلما قصد الى أثينا أن يبادر بالاستماع الى دروس ذلك الأستاذ الحكيم

كان زينون طويل القامة نحيف الجسم شديد سواد الجلد رأسه مائل على كتفه . وكان يرتدي الأقمشة البسيطة الرخيصة ويقنع في مأكله بالقليل من الخبز والتين والعسل والقليل من النبيذ . وكان سلوكه سلوك الرجل الوقور وتبدو على هيأته سمات الجد والانقباض ولكنه لم يأنف ان يغشى أحياناً مجالس الأنس والبشاشة . فاذا سئل في ذلك أجاب : بأن طبيعة الترمس المرارة فاذا تقع في الماء مدة طاب مساعاً<sup>(٢)</sup> وكان زينون يؤثر الصمت على كثرة الكلام . ولستطيع أن نفهم حال ذلك الفيلسوف الاسيوي وسط شعب مولع بالكلام كالشعب اليوناني . يروون أن زينون قال في ذلك : « ان لنا لساناً واحداً وأذنين لنعلم أننا ينبغي أن ننصت أكثر مما نتكلم » . وكان زينون موجز العبارة لم يعن في كتابته بفصاحة ولا أسلوب . ولعله لم يبلغ قط شأو اليوناني الأصيل في الافتنان الأدبي بل كان بنشأته يميل الى السليقة ويحتقر الفن . على ان خشونة الطبع وغلظة القول وسط قوم مغرمين بالرشاقة والجمال لم يكونا ليحولاً بين زينون وبين التأثير في مستمعيه أبلغ تأثير

٢ — أخلاق زينون وتكريم الاثينيين له \* أجمع القدماء على أن زينون كان على خلق عظيم وإن حياته على بساطتها كانت دائماً قدوة طيبة ومثالاً أخلاقياً عالياً . بلغ هذا الحكيم من قوة الارادة وطول الصبر وضبط النفس والعفة والسيطرة على الهوى مبلغاً أدهش معاصريه فكان الاثينيون يضربون به المثل قائلين « أضبط لنفسه من زينون<sup>(٣)</sup> »

(١) راجع الفارابي « ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة » في كتاب المجموع من مؤلفات أبي نصر

الفارابي . طبع مصر ( الحانجي ) ١٩٠٧ ص ٥٨

(٢) Arnim, Stoicorum Veterum fragmenta, I, n. 285

(٣) Diogène Laerce, Vie des Philosophes, VII, 27



عاش زينون حتى بلغ من العمر ٩٨ سنة. ولما مات رثاه الاثينيون رثاءً رسمياً، وأصدر أولو الأمر قراراً أعلنوا فيه أنه استحق تقدير الوطن لخدماته وحنه الشعبية على الفضيلة والحكمة، ولذلك منحوه تاجاً من ذهب وقبراً في مدفن العظماء. وهالك نص القرار: «حيث أن زينون بن أمناسياس من مدينة كتيوم أقام بمدينةتنا هذه عدة سنين لتعليم الفلسفة وحيث اتضح أنه من أهل الاستقامة في جميع الأمور وأنه سار في حياته كلها على مقتضى الأصول التي كان يعلمها ويدعو إليها. وأنه دأب على حب تلاميذه على لزوم الفضيلة، فقد رأى الشعب أن يمدحه على رؤوس الأشهاد وأن يمنحه تاجاً من الذهب — استحققه لورعه واستقامته — وأن يشيد له قبراً بقرميق من بيت المال. ورأى الشعب أن يختار خمسة من الاثينيين لمباشرة عمل التاج والقبر، وأن ينقش هذا القرار على عمودين: أحدهما بالمدرسة الافلاطونية والثاني بالمدرسة الارسطاطاليسية، وأن المال اللازم لهذا العمل كله يسلم حالاً لمباشرة مصالح الدولة حتى يعلم الناس جميعاً أن اهالي اثينا يشرفون ارباب الفضل أحياناً وامواتاً» (١)

وليس لدينا ما يدعونا الى الشك في صحة هذه الشهادة ولا في صدق ذلك الشعور الذي بعث الاثينيين على أن يخلدوا ذكرى زينون. حق أن الاثينيين انفسهم أصدروا حكماً مخالفاً على فيلسوف اثيني أصيل، مع ان جميع ما وجهوا الى سقراط من هم ومفتريات يمكن أن ينصب على زينون. لكن الحقيقة أن روح الاستقلال السياسي والديني كانت قد انقرضت في ذلك الحين فأتضحت اذ ذاك فائدة المدارس الفلسفية وبان فضلها في إعلاء شأن المدينة وتثبيت اركان الحكم، فلم يعد هنالك ما يحول دون الاعتراف علناً بمناب زينون وأمثاله

٣ — ﴿حكم مأثورة﴾ ذكر الشهرستاني حكماً كثيرة أثرت عن زينون. وهي تلائم ما نعرفه من اخلاقه ونورد هنا بعضها: رأى زينون فتى على شاطئ البحر حزينا يتلهف على الدنيا فقال له: يا فتى ما يلهمك على الدنيا لو كنت في غاية الغنى وانت رأكب في لجة البحر قد انكسرت السفينة وأشرفت على الغرق فكانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما في يدك؟ قال نعم. قال: لو كنت ملكاً على الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده. قال نعم. قال: فأنت الغني وأنت الملك الآن. وقيل لزينون: أي الملوك أفضل: ملك اليونانيين أم ملك الفرس؟ قال: «من ملك شهوته وغضبه! ونعي اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك علي». انما ولدت ولدًا يموت وما ولدت ولدًا لا يموت! وقيل له وكان لا يقتني الا قوت يومه: ان الملك يبغضك فقال: وكيف يحب الملك من هو أغنى منه؟ (٢)

(١) Diogène Laerce, VII, 10-12

(٢) انظر الشهرستاني المال والنحل (بهاش الفصل لابن حزم) الجزء الثالث ص ٦٠ — ٦٥



٤ - «موارد فلسفة زينون»: فلسفة زينون متعددة الموارد. قد ذكرنا أن زينون حينما قدم الى اثينا استمع فيها الى المدارس الفلسفية المختلفة. فما هي اذن تلك المدارس في ذلك الحين؟

لم يكن قد مضى على موت افلاطون اكثر من ثلاثين سنة. والذين حظوا بالاستماع اليه كانوا لا يزالون يحتفظون بذكرات عنه. وكان رئيس الاكاديمية «بوليون» الذي خلف «زينوقراط» على الارجح في السنة التي قدم فيها زينون الى اثينا. اما المدارس الافلاطونية المستقلة فكانت بعد مزدهرة وكانت تنابر في تثبيت التقاليد السقراطية في شتى الاتجاهات واما أرسطو فكان قد مضى على وفاته ثماني سنوات تاركاً رأسه المدرسة المشائية الى تلميذه «تيوفراسط». واكبر الظن أن «زينون» لم يكن يحجل تعاليم تيوفراسط الذي دارت بينه وبينه مساجلات فيما بعد. كما انه لم يحجل تعاليم «ابيقور» الذي كان قد بدأ تعليمه قبله ببضع سنين<sup>(١)</sup>. والرواقية والابيقورية هما مذهبان قد وقفنا في اكثر المسائل على طرفي نقيض كما هو معلوم

واما المدرسة القورينائية فكان يمثلها حينذاك في اثينا «تيودور» الملمحد الذي نفى من قورينا

أما الاساتذة الذين تلقى عليهم «زينون» فنذكرهم فيما يلي: يرجح المؤرخون أن يكون «زينون» قد حضر دروس «زينوقراط» الاكاديمي<sup>(٢)</sup>. ولقد ثبت على كل حال انه تلقى العلوم على «بوليون» خليفة «زينوقراط» في ادارة الاكاديمية. ذكر «شيشرون» ان «زينوقراط» كان يرى ان الفضيلة هي كل شيء، ولقد بلغ من تعلقه بهذا الرأي ان جعله شرطاً للسعادة، يعني بذلك أنه لا سعادة من غير فضيلة<sup>(٣)</sup>. أما «بوليون» فكان يمتدح التربية القائمة على المجاهدة ورياضة النفس وكان يؤثرها على تربية أماسها الثقافة النظرية والجدل البحت، وكان يرى أيضاً ان الحياة الكاملة هي الحياة الملائمة للطبيعة وسرى آثار هذه المبادئ في المدرسة الرواقية

(١) L. Robin, La Pensée grecque, 2 éd. 1928, p 409

(٢) ذكر «ديوجانس اللايرسي» (في الكتاب السابع فصل ٢) ان زينون تعلم على «زينوقراط» ولكن بعض الكتاب ارتاب في ذلك لاسباب تاريخية. وبين «جومبرس» وهن تلك الاسباب في بحث بعنوان: Gomperz, zu chronologie des Stoikers Zenon نشره في مجلة

Wiener Sitzungs — Berichte, Vol. 146, Abh.

Cicéron, Tusculanes, VI; 18, 51 (٣)



وحضر « زينون » كذلك على « استلبون » الميغاري . والمشهور ان « استلبون » هذا مسلك مسلك السكبيين في ازدراء العرف العام وقلة الاكتراث بالآراء المشهورة ، وانه كان يرى أن الخير الاسمي انما يبلغه انسان ذو نفس مطمئنة أصبحت بمعزل عن التأثير بهوموم الناس ووساوسهم . ولعل « زينون » أخذ عن الميغاريين بوجه عام ذلك الميل الى الجدل المنطقي الجاف الذي طالما نعاه الناس على الرواقية القديمة

وتتلمذ « زينون » على « اقرطيس » السكبي زمنًا غير قصير . ولعل « اقرطيس » هو الذي أثر في زينون أثرًا عميقًا باقيًا . فألف « زينون » على أستاذه كتابًا سماه « مذكرات اقرطيس » . وكان اقرطيس شخصًا عجيبيًا انتمى الى السكبيين ، فبالغ في تطبيق التعاليم التي وضعها « انطستانس » مؤسس المدرسة السكبية . و « انطستانس » — كما هو معروف — كان من المعجبين بأخلاق سقراط وما طبع عليه من قوة النفس والصبر على المكاره وما عرف به من قلة الاكتراث للمال والجاه واحتقار الآراء التقليدية والاحكام الشائعة . وكذلك سنرى الرواقيين يمجدون سقراط ويكادون يرونه مثال الحكيم

على ان السكبيين كانوا على وفاق مع سقراط في القول بأن الفضيلة هي العلم وان ذلك العلم يرشدنا الى السعادة . لكن « انطستانس » كان ينكر العلم على نحو ما يتصوره الناس ، أي علم المنطق والطبيعة لانهما في نظره مستحيلان : إذ العلم يعبر بالقضايا العامة ، وهذه ليس لها معنى محصل ولا تنطبق على شيء له وجود حقيقي ، انما الحقيقي على الاطلاق هو الشيء الفردي الجزئي . ولا وجود « للانسان » ولا « للحصان » كعني كلي انما الوجود هو « هذا الانسان » و « هذا الحصان » . الخ . . . وهذه النزعة الاسمية التي تتجلى عند « انطستانس » سنرى أثرها بعد في المنطق الرواقي كما سيأتي بيانه

على ان « زينون » قد تلقى عن « اقرطيس » شيئًا آخر : ذلك أن تعاليم السكبيين كانت ترمي — كما هو معلوم — الى ازدراء العرف واطراح التقاليد واحتقار الاوضاع . والسكبيون قوم لا يخفون لشيء ويسخرون من كل شيء . . . ومن أجل ذلك تجردوا عن أموالمهم قصدًا وآثروا أن يعيشوا كالمشردين أو المتسولين . ولكنهم حاولوا بقوة ارادتهم أن يحدوا من سلطان الحاجات والرغبات والشهوات التي تنشأ عن الحياة في المجتمع ، والتي يرون ان الانسان في حال الفطرة خال منها . وانما ينال الانسان السعادة حين يستكفي بنفسه لأن السعادة انما هي أمر باطني في يدنا ، مرجعه اليينا وحدنا ولا يستطيع أحد كائنًا من كان أن يسلبنا إياه : ذلك هو اطمئنان النفس والاستقلال عن الغير . ولكي ينال الانسان السعادة ينبغي أن يحتقر الظروف الخارجية : يحتقر الآراء السائدة والمال والجاه بل



الموت نفسه. ولكي يتخلص الانسان من الحاجات والرغبات المتكلفة ينبغي ان يرجع الى الطبيعة. فالعودة الى الطبيعة هي المثل الاعلى الذي كان الكليون ينشدونه قبل الرواقين وقبل « ديدرو » و « روسو ». وشعار الكليون بالاختصار متابعة الفطرة والرجوع الى الطبيعة. وذلك هو بعينه المبدأ الذي سيكون عليه مدار الاخلاق في فلسفة « زينون » وأصحابه. وواضح ان زينون أخذ عن الكليون ولكنه وصل بينه وبين ثقافة أوسع مستعيناً في آرائه بمختلف الفلاسفات الاخرى

وواضح كذلك ان الكليون، وهم أولئك الداعون الى الطبيعة، كانوا ينظرون الى الدساتير السياسية والنظم الاجتماعية نظراً الى الاشياء الضارة والاضاع المصطنعة، ولم يكن الانسان في نظرهم مواطناً لمدينة أو دولة خاصة بل وطنه العالم، وكانوا يطمحون الى مجتمع يعيش فيه الناس جميعاً أمة واحدة ولا يكون فيه دستور ولا قوانين موضوعة وانما يسوده الانسجام الناشئ عن الغرائز الطبيعية في حال استقامتها ونقاؤها<sup>(١)</sup>. ذلك ما تلقاه « زينون » عن أستاذه « اقرطيس ». وسنرى أثره في الدعوة الرواقية الى الجامعة التي قدّر لها أن تنسج بفضل الرواقين حتى تشمل الجنس البشري فتمنح كل فرد من أفرادها لقب « مواطن العالم » والحق ان تلك الحركة الاخلاقية النازعة من جهة الى مسامرة الطبيعة ومن جهة أخرى الى اطراح اللذائذ ومجاهدة النفس انما كانت متباعدة للنزعة العامة التي كانت سائدة في عصر الاسكندر. ولقد أدت هذه التعاليم التي استقاها « زينون » من أساتذته الى تعزيز أثر المذهب الكلي في مدرسة الرواق. وتعاليم الرواقية تشهد بعمق ذلك الأثر وان كانت مذاهب الاكاديمية قد لطفت من حدته نوعاً ما

ولا بد أخيراً ان يكون « زينون » قد اشغل بالالمام بنظريات الفلاسفة السابقين على سقراط ولا سيما نظريات « هرقليطس ». ذهب « زينون » الى ان جميع الاشياء عبارة عن جوهر واحد وهو الجسم. وهذا يبدو لأول وهلة رجوعاً الى مادية الفكر اليوناني القديم. والحقيقة ان « زينون » قام باعنائاً طبيعيات « هرقليطس » الذي كان قد ذهب الى انه لا ثبات لشيء وان كل ما في العالم هو في تغير وجريان. واخذ « زينون » عن « هرقليطس » فكرته في أن أهم عناصر الوجود النار، فربط تلك الفكرة بفكرته في الاحتراق الكوني، ومضمونها انه في فترات دورية يتقوّض نظام العالم كله ويكون احتراق عام يتبعه حدوث عالم جديد. واستعار « زينون » من الفيثاغوريين فكرتهم في « الرجعة الابدية » أعني ان



كل فترة يمر الكون بها هي صورة مضبوطة لفترة التي سبقتها، وهي فكرة قد بعثها « نيتشه » من جديد في العصر الحديث

٥ — العناصر الشرقية في تعاليم زينون : وهناك مسألة جديرة بالاعتناء : يهم الباحث ان يتعرف أكان تعليم « زينون » كله استمراراً للفلسفة اليونانية أم ان فيه عناصر ترجع الى الاصل الفينيقي الذي ينتمي اليه شيخ الرواقية ، وبعبارة أخرى ما مدى العناصر الشرقية في فلسفة الرواقيين ؟

أما الذين يذهبون الى أن فلسفة زينون يونانية فيستطيعون ، على نحو ما بسطنا فيما سبق ، أن يبينوا ارتباط كل جزء من أجزائها بالتقاليد الفلسفية التي عرفت بها بلاد اليونان من قبل . والقصة التي تروي خبر قدوم زينون الى أثينا بعد اشتغاله بالتجارة إنما تفيد أن الذي جعل منه فيلسوفاً لم يكن مؤثراً أنه من بلاده ، بل من المدارس اليونانية التي أعجب بها ومن أساتذة أثينا الذين أقبل على مجالسهم والتلقي عنهم

ولكننا نستطيع مع ذلك أن نقبل في مذهب زينون عنصراً جديداً يميزه عما في تعاليم اليونان الأصلية . فلنا بعد هذا ان نقسأ عن صلة ذلك العنصر بالمذاهب الشرقية كان ذلك الموضوع مثار خلاف كثير بين الباحثين . ونحن نميل الى الأخذ برأي الأستاذ « بفان » الذي قرر ان هذه المسألة لا يستطيع أن يقطع فيها برأي حاسم ما دام يعوزنا أن نقف في الوقت الحاضر على طبيعة الحكمة عند الفينيقيين <sup>(١)</sup>

على أنه اذا لم يكن من الميسور ان نبين في وضوح أن مادة التعليم الزينوني تحتوي على عناصر من تقاليد الساميين ، فيمكننا أن نلاحظ في صورة ذلك التعليم شيئاً يفرق بين « زينون » وبين غيره من فلاسفة اليونان : قيل ان مثال « زينون » اقرب الى مثال النبي الشرقي منه الى مثال الفيلسوف اليوناني . فمثال الفيلسوف اليوناني قد بلغ ذروته في سقراط وافلاطون : تراهما في أحاديثهما وخطبهما ودروسهما يدعوان صراحة الى نوع من الاحتكام الى العقل والتجربة . ثم هما اعتادا أن يضعا نفسيهما والمستمعين في صف واحد . واكتشاف الحقيقة عند افلاطون لا يجيء نتيجة لتعليم او تلقين يكون فيه احد الطرفين مقررأً مثبتاً والثاني معتقداً مصداقاً ، بل هو توجيه للنفس تستخلص فيه الحقيقة الكامنة فينا بالاستنباط والدليل العقلي . وهذه الطريقة هي نقيض طريقة النبي الذي يوقن أنه اكتشف الحقيقة بالتأمل والالهام لا بالدليل العقلي ، ويعلن نتائج دعوته بصفته مرسلأً من عند الله دون ان يعطي الاسباب .



على ان النبي والفيلسوف يفتقران من حيث نعمة الكلام . ومن العجب أن زينون وان كان مضمون تعليمه يونانياً الا ان نعمة صوته اقرب الى نعمة الانبياء : كان يشعر أنه مكلف برسالة يريد ان يؤديها وأن يأخذ الناس بها كاملة . فكان لا بد له أن يساير حاجات العقلية اليونانية المولعة بالاستدلال والجدل والاقناع ، فعبّر عن رسالته تلك في صورة حجج موجزة وأقيسة محبوكة كانت تبدو وكأنها خلعت على كلامه يقيناً رياضياً . واليك مثلاً من طريقته في التدليل على وجود الآلهة . قال : « العقل والحكمة يقتضيان أن تمجد الآلهة ، وليس من الحكمة أن نهمجد أشياء ليست موجودة ، واذن فالآلهة موجودة » . (١) وقال في موضع آخر للتدليل على أن الكون لا يخلو من عقل ومن وجدان : « لا شيء مما يخلو من العقل والوجدان يستطيع أن يلد موجودات ذات عقل ووجدان ، والكون يلد موجودات ذات عقل ووجدان ، واذن فالكون نفسه له عقل ووجدان » . (٢)

ولكن يكفي ان نلقي نظرة على تلك الاقيسة المنطقية المختصرة لنرى انها لا تملك في ذاتها قوة على الاقناع وكأنها لم تكن الا وسيلة للترجمة عن معتقدات الأستاذ الذي كان تعليمه في صميمه تقريراً لرأيه هو وفرضاً له على المستمعين دون مناقشة ولا جدال . حقاً ان « زينون » قد يذكر العقل في كلامه من حين الى حين . ولكن ذكره اياه كان من قبيل « اللازمة » في آخر الموشح ، فزينون يلجأ في تعليمه الى عبارة قد يرددها في آخر الدور اذ يقول : « هكذا قال العقل » . واذا كان الناس يصدقون اقواله فليس ذلك بسبب اقتناعهم بها اقتناعاً عقلياً بل لأن ثمة وراء تلك التصريحات والتأكيدات قوة شخصية هائلة ، ولأن ثمة شيئاً كان يرتفع من أعماق قلوبهم شاهداً مؤيداً أقوال الأستاذ : فهو اذاً نصديق لا عقلي وهو أشبه بالاشياء بالايمان (٣)

والخلاصة أن هذه التيارات المختلفة التي وردت على فلسفة « زينون » قد تفسر لنا شيئاً من خصائص الرواقية في جملتها . ولكننا سنرى بعد ان هذه المؤثرات العامة ، على قوتها ، ليست كل شيء في فلسفة الرواق . والرواقيون اذا لم يكن لهم في بعض الاحيان بد من ان يعتمدوا على القديم ، فهم على كل حال قد ألقوا عليه طابعاً خاصاً ونفثوا فيه روحاً جديدة .

Sextus Empiricus , Contre les mathématiciens, IX, 133; (١)

Arnim. Stoic. veter. fragm. I, fr. 152

Cicéron, de natura. deorum., II, 22 انظر (٢)

E. Bevan, Stoic. et Scept., p. 12. انظر (٣)



# العمران والطيران

بعد الحرب

من مآثر هذه الحرب — إن لم يكن بدُّ من البحث عن مآثرها — أنَّ أجيالاً من التقدم العلمي والصناعي ، قد حُشدت في بضعة أشهر أو بضع سنوات . فالنضال في سبيل الكيان شجذ قرائح العلماء ، وحتمَّ على الحكومات توفير المال اللازم لبحوثهم وتجريبهم . وقد اخترعت مخترعات جديدة في الطيران واتقنت مخترعات قديمة ، ما كانت على الغالب لتتاح في مثل هذا الوقت القصير في أيام السلام ، ولو اتبحت لعدَّت من العجائب نعم إنَّ بعض هذا التقدم لا يزال ملفوفاً بالغموض الذي تقتضيه الضرورات الحربية ولكنَّ المعروف منه ، البادي في حوادث مشهورة ، ومناقشات مستفيضة على صفحات المجلات والجرائد ، لم يستوقف انظار الناس بوجه عام ، لانصرافها الى احداث الحرب فمن عهد قريب اجتازت قاذفة كبيرة المحيط الأطلسي من جزيرة نيوفو ندلند الى انكلترا في ست ساعات واثنتي عشرة دقيقة . ولو تمَّ طيران من هذا القليل في أيام السلم ، لنشرت اخباره في صفحات الجرائد بحروف كبار ولهلل الناس وكبروا للطيارين ، وما عهدنا بلندبرج حين اجتاز المحيط وبالذين تبعوه ، بالعهد البعيد . اما وانباء المعارك التي يتوقف عليها مصير الحرب تستأثر باهتمام الناس ، فقد مرَّ هذا الحادث ، كأنه لم يكن ، أو كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً . ولكن هذا الحادث يعني — على أقل تقدير — ان الطيران من اميركا الى لندن وباريس ، بين عشية وضحاها أصبح أمراً عملياً

وحين تنتهي الحرب ، وتتاح هذه المخترعات الجديدة ، ووجوه الاتقان والتحسين التي طرأت على المخترعات القديمة ، وتطبق على شؤون الحياة اليومية ، فسيجد فيها الناس ما يبعث على الدهشة والعجب . خذ مثلاً على ذلك التحليق في أطباق الفضاء . فقد كننا نقرأ قبل نشوب الحرب ، عن مغامرات الطيارين الذين يحاولون ان يكسبوا قصب السبق في التحليق ، فأصيبوا بالدوار والاعياء حين بلغوا ارتفاع ٣٢ ألفاً من الأقدام او ٣٥ ألفاً من الأقدام ، ثم هبطت بهم الطائرة وهي تهوي كأنها جامود صخر حطَّ السيل من عل ، حتى اذا ما دنت من سطح الأرض امتعادوا وعيهم وثابت اليهم أنفسهم فقبضوا على زمام الطائرة



فأنقذوها وانقذوا انفسهم بنزولهم على الأرض في احكام ويسر  
أما الآن فهناك ألوف من الرجال يخلقون الى ارتفاع ٤٠ ألفاً من الاقدام ، كأن ذلك  
شيئاً عادياً واذا كانت محركات طائراتهم مجهزة بأجهزة خاصة تغذيها بالهواء ، استطاعوا ان  
يخلقوا فيها الى ارتفاع خمسين ألفاً أو ستين ألفاً من الاقدام

فاذا طبقت هذه الحقيقة على ما ينتظر من أساليب الطيران المدني بعد الحرب ، صحت  
ان نقول ان مشكلة الطيران في أطباق الجو العليا ( الطبقة الطخورية Stratosphere )  
قد حُلّت وهذا يجعل الطيران أسرع وأيسر ، وانك لتستطيع بعيد انتهاء الحرب  
أن تنتقل من مكان الى مكان بطائرة محملة عشرة أميال فوق سطح الأرض

والواقع ان التقدم الحديث في الطيران ، الذي تم بعد نشوب الحرب يبعث على الدهشة .  
فصانع الطائرات تصنع الآن قاذفات مداها عشرة آلاف من الاميال أي انها تستطيع — في  
نطاق الحرب — ان تطير من الولايات المتحدة الى ألمانيا ثم تعود الى أميركا بغير توقف

ومغزى هذه الحقيقة يتجلى لنا حين نترث قليلاً لانعام النظر فنذكر ان محيط الأرض  
يبلغ ٢٥ ألفاً من الاميال عند خط الاستواء ، وان محيطها في الاقطار الشمالية حيث أكبر أمم  
العالم الصناعية لا يزيد على ١٨ ألفاً من الاميال

فتصور اذن طائرة مداها عشرة آلاف ميل ، تقوم من أرض أميركا وتتجه شرقاً أو  
غرباً فتطير بغير توقف الى البقعة المقابلة للمطار الذي قامت منه على الجانب الآخر من الكرة  
الأرضية أي ان الطيران من أي مكان الى أي مكان آخر ، حول الأرض — في منطقة  
خطوط العرض الشمالية — أصبح أمراً واقعاً

وما يتوقعه الخبراء في سرعة الطائرات لا يقل غواً عما تقدم ذكره في أمرى التحليق  
والمدى . فمن المسائل المعروفة المتداولة ان الطائرات المطاردة التي تصمم وتبحث الآن تستطيع  
أن تطير بسرعة ٥٠٠ ميل في الساعة . وقد قال أوليفر ستيفارت الخبير بالطيران ، ان مصمم  
الطائرات يستطيع الآن ان يصنع طائرة تطير بسرعة ٦٥٠ ميلاً في الساعة ، اذا صرف همه  
الى مراعاة السرعة لا غير في تصميمها . ويرى ده سقرسكي — وعنه ننقل معظم هذه  
الحقائق — ان بلوغ سرعة ٧٠٠ ميل أو أكثر قليلاً ليس مستحيلاً

وقد كنا الى عهد قريب ، نمي النفس بما يحدثه الطيران بهذه السرعة ، من تأثير في  
جسم الانسان . ولكن التجارب قد أثبتت ان هذه المخاوف لا أصل لها . فطاردات كثيرة  
تبلغ في أثناء انقضاضها بقوة محركاتها ، سرعة تعادل سرعة الصوت ، وذلك بغير ان يصاب  
الطيار أو الطائرة بأذى ما



وحين يفوز المخترعون بوسيلة للحركة في الهواء يبلغ فيها الاندفاع الاضافي وزن الطائرة يصير الطيران بسرعة الصوت حقيقة واقعة. وفي المنطقة المعتدلة الشمالية تبلغ سرعة الشمس ٧٥٠ ميلاً في الساعة واذن فالطيران بسرعة الصوت غرباً يمكن الطائرة من مجاراة الشمس أي ان الذي يقوم من نيويورك بعد ميعاد طعام الفطور يبلغ سان فرانسيسكو في ميعاد طعام الفطور ، مع ان المسافة بينهما ٣٠٠٠ ميل

وماذا يمكن ان يقال في قدرة الطائرات على حمل الاحمال من بضاعة وركاب ؟ في اليوم السابع من شهر يونيو الماضي أعلن مكتب الاخبار الحربية الاميركي ان شركة هيوز — كيزر ماضية في صنع طائرة تستطيع ان تحمل حملاً يزن ستين طناً . ويبلغ المدى بين طرفي الجناحين في هذه الطائرة ٣٢٠ قدماً وطول الطائرة نفسها ٢١٨ قدماً . وأذاعت شركة كوسنولوديتيد انها معنية بتصميم طائرة تتسع لاربعمائة من الركاب . وقد وصف غروفر لوينغ أحد كبار مهندسي الطائرات طائرة تستطيع ان تحمل حملاً تبلغ زنته حوالي ١٧٥ طناً وهو يقول ان المرحلة التي بلغتها صناعة الطائرات الآن تجعل انشاء هذه الطائرة أمراً مستطاعاً . ومما يستوقف النظر في هذا الصدد ان جلين مارتن الذي صمم وصنع طائرة النقل الكبيرة المعروفة باسم «مارس — المريح» وصفها بأنها دار لها أجنحة مؤلفة من خمس عشرة حجرة ، ثم أضاف « ومن يدري فقد نستطيع ان نطير ببناية امبير سقيت » — وهي أكبر ناطحات السحاب في نيويورك

ولا يقتصر تقدم الطيران على التحليق والمدى والسرعة بل يشمل كذلك بحوثاً عجيبة في الوقود والمحركات وخواص المواد التي تبني بها الطائرات . وغرض هذه البحوث زيادة كفاية المحركات وقدرة الطائرات على الاحتمال بحيث تزداد زنة الحمل بالقياس الى زنة الطائرة نفسها

ولا يحتمل ان يمضي مهندسو الطائرات واصحاب مصانعها في تصميم طائرات مطردة حجماً وسعة ، لان ذلك مناف لعوامل الاقتصاد في استعمالها . فليس من المصلحة ان تصنع طائرة تتسع لالف راكب مثلاً ، لتقطع محيطاً في بضعة ساعات ، ان كان جمع الركاب من هنا وهناك وشحن امتعتهم والاشراف على جوازاتهم تستغرق مدة أطول من مدة الطيران نفسها . ووجه الخطأ في تصور الطائرات الضخمة ، هو مقابلتها بالسفن الضخمة التي تمخر عباب اليم . فهذه السفن تستغرق اياماً في احتياز المحيط من اميركا الى اوربا فيجب ان تكون السفينة منها فندقاً نفخاً عاملاً . ولكن الطائرة تجتاز المحيط في بضعة ساعات ولا تحتاج الى جميع وسائل الراحة والرفاهة التي لا غنى عنها في السفينة .



## غزو روسيا

تفشل فيه ثلاث دول في ثلاثة عصور

- ٢ -

لادوار مرقص

من أعضاء المجمع العلمي

### حريق موسكو

علينا الآن ان ننقل الى الغزوة الفرنسية وفشلها في روسيا تحت قيادة الامبراطور نابليون بونابرت الاول . والقصر الروسي يومئذ هو الامبراطور اسكندر الاول من سلالة بطرس الأكبر الآنف ذكره . وقد اخترنا لذلك فصلاً عنوانه « حريق موسكو » مدججاً بقلم شاهد عيان يزيد به الكونت سيجور Ségur وهو جنرال من قواد نابليون وأحد المقرين اليه والحائزين ثقتة المطلعين تماماً على دخائل اموره وأحوال جيشه وغزواته . وهذا الكاتب القائد كان أيضاً عضواً من أعضاء الأكاديمية الفرنسية في باريس وهذا ترجمة ما قاله :

« كان رجالان من ضباطنا الفرنسيين قد نزلا بجي بناء من ابنية الكرملين قصر القياصرة وباتنا هناك مع من باتوا في القصر من رفاقهما . وكنا من موضعهما ذاك يشرفان على الجانب الغربي والجانب الشمالي من تلك العاصمة العظيمة موسكو . وعند منتصف الليل انتبها على انوار وهاجة فنهضوا ومدوا ابصارهما واذا بهما يشهدان النيران محتدمة على نطاق واسع في الجهتين الشمالية والغربية وقد تألقت انوارها وانتشرت طولاً وعرضاً وارتفعت الى الجو واخذ ضرامها يفعل فعله الهائل في الابنية التي تقفحها فتهدم السقوف والجدران وتتطاير المظايا الكثيرة في كل جهة وقد وصلت منها بقية الى حيث كان الضابطان فارتاعا لهذا المنظر وخفق قلباهما لاسيما وقد رأيا الريح الشمالية تسوق ذلك الحريق الهائل باتجاه قصر الكرملين نفسه

وقد نزل في القصر نخبة الجيش الفرنسي ومعهم الامبراطور نابليون كما ان قسماً آخر من الجيش العامل وفرق عمال الجيش الفرنسي وموظفيه نزلوا بجوار القصر في كثير من



القصور والفنادق والدور وكلهم يهددم الحريق الزاحف نحوهم وهم مستغرقون في نوم عميق على اثر ما قاسوه من المشاق والمتاعب في يومهم السابق والايام التي تقدمت

\*\*\*

وبعد ما شاهد الضابطان ذلك المشهد مدة ساعة او اكثر وتأملاه وفكرا في شأنه ظناه حادثاً بسيطاً نجم عرَضاً ولم يتداركه اولو الامر بسرعة اهاناً منهم واستخفافاً به وقال أحد الضابطين في نفسه . « مالي ولما أراه فأنا وجندي بمعزل عن هذه النار فهي لا تهددنا وليتول غيرنا امرها » . قال ذاك وعاد الى فراشه . ولا شك ان ما ناجى به نفسه هو ضرب من حب الذات وضعف الحمية مما ينتاب قلوب البشر على اثر ما يلقونه من متاعب وشدائد . ولا شك ان شدائد الجيش الفرنسي وضباطه كانت جمة يخطئها العد والاحصاء . فالضابط الفرنسي كان معذوراً في نجواه وتهاونه . وقد أراد هو ورفيقه ثلاث مرار الرجوع الى معجعهما وفي المرات الثلاث كان بريق النار وازيزها وتطاير الشرر والشظايا ينهضهما من مضجعهما الى النوافذ والشرفات والحريق يتسع نطاقه بسرعة ويشند شواظه ويدنو زحفه من قصر الكرملين . فلما لاحظ الضابطان ذلك ازداد خوفهما وتغيرت ظنونهما وأحسا أن الامر اعظم وأهم مما حسبا وقدراً فقالا هل يا ترى أقدم اعداؤنا الروس على احراق عاصمتهم هذه بأمل ان يطوقونا ونخن فيها ويقضون علينا وعلى امبراطورنا . انها لتضحية عظيمة لم يسمع التاريخ بمثليها اذا صح ظننا بشأنها ولكن النتيجة المتوخاة من القضاء على جيش غاز مظفر تتطلب تضحية عظيمة تكون على مستواه ثم بزغ فجر ذلك اليوم وكان قد أحس بالحريق سائر الضباط الذين باتوا في القصر فبهتوا ولجأوا الى ساحات القصر وردهاته الواسعة والدعر يدب في قلوبهم شيئاً فشيئاً وكان في القصر على غير علم منا مستودع كبير للبارود وتحت شرفاته صناديق وبراميل بارود للجيش الفرنسي والى قربها بطاريات من المدافع الفرنسية . وقد اجتهد القائد مورتيه Mortier ومعه غيره من الرؤساء والموظفين ورجالهم في مكافحة الحريق ووضع حد له حتى تصبوا عرقاً من التعب وفرغت من أيديهم كل وسيلة ومن عقولهم كل حيلة . ولم يفلحوا في مسعاهم فتخلوا عن مهمتهم تلك وأتوا الى جوار قصر الكرملين واستلقوا على ظهورهم ملتصين لأنفسهم شيئاً من الراحة واليأس أقرب الى قلوبهم من الامل ولذلك لموا الصمت واجبن

« وكان كثيرون لا يزالون يظنون ظناً راجحاً أن ذلك الحريق نجم في أول أمره عن غير عمد على يد جنود فرنسيين أشعلوا النار وذبحوا الذبائح وأقاموا المراقص في ذلك الليل



ابتهاجاً بما نالوه من نجاح عسكري توهموه ظفراً حاسماً نهائياً بدخولهم موسكو فأصابت النار شيئاً أمامها التهمة وساعدتها الريح العاصفة التي كانت تهب فحصل الحريق واشتد وامتد الى أن أصبح خطراً لا يطاق ولا يرجى توقيه . هذا الذي ظنته جماعة منا وكانت جماعة ثانية تخالفها فيه وجماعة ثالثة تتردد بين الظنين . وهو غموض مزعج مؤلم لا يخرجنا منه إلا الخبر الصريح الصادق فأخذنا نستطلع الأخبار ولم تلبث أن وردت علينا صريحة صحيحة إذ جاءنا افراد من رجالنا من جهات متعددة وكلهم مجمعو الكامة على ان الروس هم الذين تعمدوا حرق عاصمتهم نكابةً بنا وأملأً بالتغلب علينا ونحو أثرنا . وكان بدء الحريق على ما روى شاهدو عيان من الجند الفرنسي ان كتلة من النار هبطت من الجو على قصر أحد أمراء الروس فتناولوه الحريق وكانت تلك الكتلة الهابطة هي العلامة المتفق عليها بين رجال الحريق فبادروا الى انقاذ مهمتهم بجرأة وضراوة غريبتين وقد استخدموا في عملهم وسائل مختلفة من أسهم عليها خرق مغموسة بالقطران ومن كتل أخرى ومن قنابل متفجرة الى غير ذلك من أدوات الاحراق وقد اشتركت نسالة من الطبقة السفلى في هذا الحريق . وأما رجال الحريق فعظمهم سجناء وأئمة أطلقت الحكومة الروسية سراحهم وأمرتهم بحرق العاصمة تحت مراقبة رجال الشرطة ورجال الدرك . وأول بناء التهمة الحريق قصر ذلك الأمير ثم دار البورصة ثم العشرات والمئات من الأبنية الكبيرة والصغيرة وكان مشعلو النيران يبدون عناداً غير اعتيادي وافتخاراً عظيماً بانجاز مهمتهم وهم لا يبالون بالجند الفرنسي الذي يقاومهم وقد أهلك منهم جماعة فلم يثبط هلاكهم همة واحد من الباقين . وزبدة ما يقال في عملهم ذاك ان التفكير فيه لا ينشأ إلا عن فرط الألفة والمحبة الوطنية ولكن انقاذ هذا العمل لا يستطيعه إلا أهل الشر والفساد .

\*\*\*

«وهكذا جرى في حريق موسكو . وكان حريقها يهددنا بعواقبه في حاضرنا ومستقبلنا ويقضي على ثمار انتصاراتنا في روسيا وغير روسيا من ممالك الشرق والغرب . وقد بدأ حريق موسكو ليل ١٤ ايلول (سبتمبر) من سنة ١٨١٢

« وكنا لا نزال في احدى ساعات الصباح والامبراطور نابليون مستغرق في نومه وليس من رجل في خواص رجاله يتجاسر على ايقاظه ومجاوبته بخبر ذلك الحادث الفظيع . واذا به يستيقظ من تلقاء نفسه على وهج النورين نور النهار ونور الحريق فما كاد يرتدي ثيابه حتى ظهرت أمارات الغضب على وجهه وأمر باطفاء النار كأنه يصدر امرأ عادياً سهل التنفيذ



فوقف رجاله أمامه صامتين منكسين رؤوسهم . ولما علم بطرف من حقيقة الامر تقدم من احدى الشرفات يمد بصره فصبق لما رآه من هول الحريق وسرعة ديبه وخيبة الجند الفرنسي في مكافته ومكافحة القائمين به . ومع ان بين مواضع الحريق وبين قصر الكرملين أرضاً براحاً واسعة ونهر موسكوفاً وجسره وأرصفته وغير ذلك من الابنية كان وهج النار قد وصل الى بلوره وزجاجة فجعلها حامية لا تكاد تمس وكانت شظايا الحريق تتطاير بسرعة وكميات عظيمة من الطنوف والشرفات والابواب الى سطوح القصر وسقوفه ومخادعه ودهاليزه وردهاته وخدم الامبراطور في القصر وحرمنه يجهدون في ازالها وتنظيف مواقعها وهم يعجزون عن ذلك لأن المتجدد منها كل لحظة كان يفوق ما يكفونه ويزيلونه . فاعترت الامبراطور نابليون نوبة عصبية شديدة وجعل يرغي ويزبد ويقوم ويقعد ويركض من مكان الى مكان ويصدر أمراً ثم يلغيه ثم يعود الى الشرفة فيطلع ويرى الحريق يزداد شدة وانساعاً ومن نظر الى الامبراطور في تلك الساعة كان يظن ان لهباً من الحريق مس ثيابه وجسمه بدليل ما يشاهد من كثرة حركاته واضطرابه . والرجل معذور في هذا الجزع وهذا الغضب فقد كان يبني صرحاً من الآمال على غزوه روسيا ودخوله عاصمتها منتصراً فاذا بتلك الآمال من أولها الى آخرها شبح وهمي أو طيف خيال يتوارى تماماً في ثنايا لهب الحريق وسحائب دخانه المتلبدة وكان قد عرض شروط الصلح على مغلوبيه الروس ورجا أن يرد عليه جوابهم بالقبول أو بتعديل خفيف لتلك الشروط فاذا بهم يرسلون اليه حريقاً لا يدع ولا يذر عوض ذلك الجواب وطول الأخذ والرد في الخطاب . وكما رمى ببصره الى الابنية الضخمة والآثار الفخمة التي تلتهمها النيران أمامه كان يتمم قائلاً : « ما أفزع هذه الجريمة وما أقسى قلوب مرتكبيها . انهم لبرابرة »

\*\*\*

« ثم امتلاً الجو بسحب من دخان الحريق فأصبحنا لا نستنشق سواه عوض الهواء الكروي النقي وارتفع صوت من القصر يقول : — ان القصر ملغوم وعن قريب يطير في الفضاء — وما أسرع ما انتقلت صيحة هذا الانذار من فم الى فم ولما بحثنا عن كنه هذا الخبر وجدناه صحيحاً وكان النهار قد مضى معظمه ودنا منا الليل يهددنا بزيادة الارتباك والويل فدخل على الملك صهره مورات وهو ملك نابولي ومعه البرنس أوجين والبرنس نوفشاتل وضرعوا اليه أن يسرع ببراح القصر قبل فوات الفرصة ضناً بحياته وحياة رجاله وإلا يلعنهم النيران وفعلت الانغام فعلها بأسمات القصر فلم يصغ اليهم ولم يصدق ان القصر ملغوم فعادوا الى تضرعهم وجثوا امامه على ركبهم فأصر على عناده وبقي حيث كان



«دخل نابليون قصر الكرملين التاريخي العظيم قصر القياصرة الجبابرة غزاة اوربا وآسيا فمز عليه بعد هذا الفتح ان يترك القصر ويتخلى عن ذلك النصر ولودعاه الى هذا التخلي الحريق الهائل ورسول الموت الزؤام . وبعد اصرار نابليون على عناده هنيئة من الزمان سمعنا صوتاً من القصر يصيح صيحة ذعر وتحذير : النار ! النار ! النار في الكرملين ! فكان لهذا الانذار دوي عظيم فردده السامعون كثيراً حتى وصل الصوت الى نابليون فتفحص الخبر واذا به حقيقة راهنة لا مربة فيها وبحمنا عن سبب شبوب النار هناك فعثرنا على جندي روسي كان قد اندس في القصر بيننا وهو الذي ابتداء يضرم النار فيه اطاعة لأمر رؤسائه وقد اعترف الجندي بما اقترف غير هيب ولا وجل فطرده نابليون من أمامه بعد نظرة احتقار واشتمزاز وجهها اليه وما كاد يخرج من حضرته حتى أقبل عليه الحرس الفرنسي ممتلئين حنقاً ومزقوه بحراهم ارباً ارباً . ولما علم نابليون ان الروس ادخلوا في برناجمهم احراق الكرملين نفسه غير مباليين بما له من قيمة مالية وتاريخية ودينية وان هذا القصر مقضي عليه بعد قليل وان تمكن في المرة الاولى والثانية من اطفاء حريقه وهو في اوائله ولما علم الامبراطور ذلك رأى ان العناد لا يجديه نفعا فهم بالخروج وأمر بالخروج معه من في القصر والمدينة وأشار علينا ان نتخذ طريق بطرسبرج لكي نحتل القصر الامبراطوري هناك . سرنا وبعد الجهد اهتدينا الى طريق ضيق لم يزل كثير من اجزائه سالماً من الحريق ولكن اللهب فيه شديد فسقفه من نار تتساقط منه العوارض الخشبية والملمتبه وطنوب الحديد الحامية وأرضه كائما من نار وعن يمينه ويساره سوران من نار . وهو مع ذلك اقل خطراً من بقية الطرق والمسالك فسلكناه والامبراطور في مقدمنا وكنا نحجب وجوهنا بأيدينا فيصيبها الشواظ ويكويها كيتاً والدخان المتكاثف يكاد يعمي عيوننا ونحن لانستطيع ان نأخذها لاننا محتاجون الى نظر كل ما أمامنا وحوالينا والا هلكنا في طرفة عين ولم يكن لنا بد من السير الى الامام على ما يعترضه من الموانع وأما الرجوع فلا سبيل لنا اليه . وأما التربص حيث كنا ولو دقائق يسيرة فمعناه الهلاك العاجل

« وكان البرنس ايكموهل وهو مارشال فرنسي يخوض هو وجنوده بحور النار وبحيراتهما في ذلك الحريق الجهنمي مفتشاً عن الامبراطور فلما عثر عليه ونحن معه تقدم منه وصاحفه فاستقبله الامبراطور استقبالا حسناً وديناً ولكنه ظل على سمتيه ووقاره كانه غير مصاب بشيء . فسار معنا المارشال وجنده حتى وصلوا بنا الى طريق آخر اقل خطراً مما كنا فيه ولكنه عظيم المشاق لانه مؤلف من خرائب وانقاض الابنية التي تدهورت فيه فسلكناه حتى خرجنا من المدينة . وفي السابع عشر من ايلول (سبتمبر) بلغنا بتروفسكي بقرب بطرسبرج



وأقننا فيها مؤقتاً . والامبراطور عاد الى صمته وتأملاته فلم نسمع منه هناك الا هذه العبارة : « ان ما أصابنا من الحريق يندرنا بويلات عظيمة لا بد ان تحمل بنا »

\*\*\*

هذا هو الفصل الذي اردنا نقله عن الجنرال الفرنسي سيجور Ségur ولكي نقف بالقرىء حيث يحسن السكوت او يحتمل يجدر بنا ان نطلعه بايجاز على الحوادث والنتائج التي ساقها الدهر الى البشر بعد حريق موسكو فنقول :

ذكر المؤرخون ان الجيش الفرنسي الذي زحف به نابليون الاول لمحاربة روسيا واكتساحها هو أعظم جيش قاده في حياته بل أعظم جيش عرفه المحاربون في ذلك العصر فكان عدده ستمائة الف مقاتل ولهذا سماه الفرنسيون الجيش الكبير وان لم يعد الا جيشاً متوسطاً في حروب أيامنا الحاضرة . وزعم بعض مؤرخي الروس ان ذلك الجيش الفرنسي كان عدده مليون نفس ولعلمهم أضافوا الى رجاله المحاربين وجنوده العاملين كل الرجال الذين رافقوا ذلك الجيش من موظفين وصناع وعمال وتجار وهم جاهير غفيرة لا يستغني عنها الجيش في حله وترحاله لاجل اشغاله وحاجاته ومتعلقاته فبلغ مجموع العدد مليوناً او ما يقارب المليون . قالوا : وبعد ما حدث حريق موسكو وخرجت الجنود الفرنسية شاردة متبددة لا يكاد يستقر رأيها على أي جهة تتخذ وأي تدبير تلجأ اليه كانت الحيوش الروسية واقفة لها بالمرصاد ومعها قوتان أخريان لا تقلان عنها هولا وهما الجوع والبرد فان الروس كانوا قد اتخذوا الحيلة والتدابير الدقيقة لحرمان عدوهم الميرة والمؤونة في اثناء تراجعهم غير تاركين له في القرى والمدن التي يمر بها شيئاً من ذلك . وأما البرد والثلوج فكانت مبكرة عن جاري عادتها في بلاد الروس تلك السنة كأن الطبيعة قد أخذت على نفسها ان تحالفهم على عدوهم فلحق الفرنسيون من جراء البرد ضيم شديد وعذاب لا يطاق وكذلك من جراء قلة الغذاء وأعظم من الآفتين آفة هجوم الروس ولا سيما خيالتهم القوزاق على تلك الفلول الفرنسية المبعثرة واصطيادها كما يصطاد القناصون الملهرون طيوراً وحيوانات . بقي الجيش الفرنسي يقاسي في نكوصه وتقهره تلك الويلات مدة شهرين او اكثر وكل يوم يفقد من رجاله الالوف قتلاً او دنقاً او مرضاً او جوعاً أو تعباً وكان الموتان في الخيول الفرنسية أسرع وأشنع حتى نفقت كلها تقريباً واضطر فرسانها أن يتحولوا كلهم الى مشاة كما اضطرت القيادة الفرنسية ان تترك في أراضي روسيا عتادها ومدافعها ومساير ذخائرها فاستولى الروس عليها غنيمة باردة . ولم يصل الى فرنسا من ذلك الجيش الضخم المظفر في عشرات من الحروب ومئات من المعارك اذاء عدة دول في اوروبا وآسيا الا ثلاثون الف



مقاتل أو أقل بينهم جمهور عظيم من المرضى والجرحى . وبذويان ذلك الجيش ذابت آمال نابليون الاول وآمال اعوانه وأنصاره وأتباعه في اخضاع العالم أو اخضاع القسم الاكبر من العالم . ولم يلبث انكساره ذاك ان نشط بريطانيا العظمى لتجديد الاغارة عليه ومعها مقهورو الامبراطور بالامس من المان ونمساويين وايطاليين واسبان وغيرهم . ولكن عزيمة ذلك الجبار لم تخرب بل جهز جيشاً جديداً من قومه وهم فتيان في ريعان شبابهم لا تنكر عليهم بسالتهم الطبيعية ولكن هيبات ان يقوموا مقام ذلك الجيش الهالك الذي كان ممثلاً حنكةً ودرية فضلاً عن بسالته وبطولته فانكسر الجيش الفرنسي الجديد وأخذ الامبراطور نابليون اميراً الى جزيرة البا وبعد ما اقام فيها بضعة اشهر تمكن بوسائل جريئة من العودة الى فرنسا وتبوء عرشها وكان له فيها حزب قوي ينصره ومعظمه من الجيش وحزب آخر يخذله فعادت دول اوروبا الى محاربته . وقد تمتع مائة يوم بالعرش بعد عودته اليه فكسروه في معركة واترلو الحاسمة سنة ١٨١٥ واحتفظت به بريطانيا العظمى اميراً في جزيرة القديسة هيلانة من املاكها في جنوب المحيط الاطلسي حيث اقام ست سنوات ثم مرض وتوفي طريداً مقهوراً وهو في اواسط عقد الحسنيين من عمره . وبعد وفاته بسنوات نقلت الدولة الفرنسية رفاقه من مدفنه الاول الى مدفن عظمائها في باريس حيث استقبلوا الجثة استقبالا باهراً فخماً يليق بصاحبها

ومما يؤثر عنه انه كان يثني على بسالة الروس عموماً وخيالتهم القوزاق خصوصاً ومن اقواله بهذا الصدد : « اني احب الروس وان كانوا اعدائي لانهم ابطال والبطل يحب البطل » وقال في مقام آخر : « ان اشجع جيش حاربته هو الجيش الروسي واشجع فرق هذا الجيش خيالة القوزاق ؟ والفارس القوزاقي لا يكفيك ان تقتله لتأمن شره بل يجب عليك ان تقتله وتدفنه » . وبديهي أن في عبارته مبالغة لطيفة اراد بها التعبير عن عناد القوزاق وشدة عزيمتهم حتى وهم على آخر رمق من حياتهم . وكان القيصر الروسي اسكندر الاول بعدما تغلب نهائياً هو وحلفاؤه على نابليون حريصاً على أن لا يجرموا فرنسا شيئاً من املاكها الاصلية فتم له ما اراد واكتفى المنتصرون بتجريد فرنسا من فتوحات امبراطورهم وردّها الى اصحابها . كما ان هذا القيصر وردت عليه من نابليون وهو منفي في جزيرة القديسة هيلانة رسالة ملؤها شكواى مرة مما يناله في منفاه من سوء المعاملة في كثير من الامور حتى في التضييق عليه بنزهاته هناك ، متعمدين تعذيبه واهانتة . فرث القيصر لحاله وساءته شكواه وتوسط في الامر لدى حليفته بريطانيا العظمى فأصدرت أمراً بالتخفيف عن أسيرها العظيم ورفع كل ما لا ضرورة له من اعنائه والتضييق عليه .



# وصف المغيب

لعدنان مردم بك

أبريقٌ ما أرى خلف السحابِ      أم سطور تترأى من كتابِ  
عجبي للشمس ما سَطَّرت      حينما جدَّت بيني واغترابِ  
أصبح الأفق خضماً من دمٍ      يتلفى بلمهب واضطرابِ  
وطفا النور كسيلٍ جارٍ      في حواشي الأفق محموم الرقابِ  
صور شتى أفانين المنى      حكمت الرؤيا بأجفان الشبابِ  
فكأن السحب والنور بها      مائج ، فلـك تهاوت في عبابِ  
سُفُنٌ للنور راحت ترمي      ناشطات السير في شتى الشعابِ  
لشرت راياتها مؤذنة      بافتراق ثم جدَّت في انسحابِ  
أي شجوه هيجت شمس الضحى      حين غابت وأثارت من عذابِ

\*\*\*

عرت الوحشة أكناف الربى      فلوى السوسن جيداً باكتئابِ  
يتنـزى من شجون وأسى      نزوان الطير في قيد العقابِ  
رب صمت من كئيب موجد      حقق المعنى وأغنى عن جوابِ  
والخزاي أطرقت مغمضة      مقلة ، إغماض دكٍ وعتابِ  
غلب اليأس عليها فارقت      كخـليـع ناءٍ من وقر الشرابِ  
أو كمشتاق سرت في نفسه      سورة الشوق الى مرأى الصحابِ  
قام يرنو من حنين للحمى      مستعيداً حلو أحلام الشبابِ



والندى يرفض في جنح الدجى      كارفضاض القطر أو دمع التصابي  
أي شجوا هيجت شمس الضحى      حين غابت وأثارت من عذاب

\*\*\*

وترى الطير ترامت زمرأ      تقطع الأفق بوخذ وانتهاج  
تنبري كالسهم حيناً صعداً      وإذا انقضت تراءت كالشهاب  
يمت شطر الحمى مسرعة      تتحدى الريح جرياً في الغلاب  
ولها من شوقها حاد إذا      أخذ الاعياء منها في الاياب  
أين للنازح عن أوطانه      راحة البال و صوب من صواب  
وصغار الطير في اعشاشها      ترمق الليل بذعر وارتياج  
ترسل الصبيحة من شجوا كما      شهق الموجه من وخز الحراب  
ولها في مسمع الأفق اذا      ردّتها الريح أنات انتحاب  
أي شجوا هيجت شمس الضحى      حين غابت وأثارت من عذاب

\*\*\*

خبّت الأنوار إلا صفحة      من ضياء تترأى كالضباب  
وامتدّ النور في غمد الدجى      كحسام مستسرّ في قراب  
خلت شؤبوب الضياء من رقة      سال يهي قطرات من حباب  
دقّ قرن الشمس حتى خلته      شاكل اللغز غموضاً في الحساب  
والدجى أوماً من خلف السحاب      ناشراً فوق الرنى جنحي غراب  
ظلمة كالبحر في اثباجه      غمرت أطباق هاتيك الروابي  
غفت الطير وفي أماقها      عبرة الموجه من سهم المصاب  
والأزاهير ارتمت من شجن      شلو إعياء على سافي التراب  
أي شجوا هيجت شمس الضحى      حين غابت وأثارت من عذاب



# نشوء الديموقراطية

وتطورها

- ٢ -

لناشد سيفين

طَمَّ سبل قياصرة الرومان وفاض حتى اكتسح العالم كله . واستفاضت شهرة لكتائب روما أنها لا تقهر . حتى اذا حسب القوم أنهم قد حطموا كل مقاومة وأصبحوا سادة العالم بلا منازع . ارتفع صوت في فلسطين باسم الحرية . وشقَّ شعب اليهود عصا الطاعة لروما العظيمة . ورفعوا راية العصيان في وجه قيصر . فجَنَّ جنونه ورمائم بابه تيطس على رأس جيش كبير حاصر اورشليم مدينتهم المقدسة وما زال يدك أسوارها ويضيق عليها الخناق حتى دخلها عنوة ففتك بحماميتها ودمر المدينة والهيكل تدميراً تاماً لم يبق فيهما ولم يذر حجراً على حجر

ذهبت ربح اليهود بعد تدمير المدينة التي كانت موطن عزِّهم ومعقد آمالهم فتبدَّوا في فجاج الارض وتشتتوا في بلدانها . وتوراتهم معهم تحمل في طياتها مشعل المساواة . وهكذا حملوا بين الأمم ليكفوا الجهاد الذي بدأوه في فلسطين في سبيل الحرية . ويحملوا النصيب الذي قدَّروا أن يحملوه من النضال ضد الطغيان . لاهياء الديموقراطية وبعثها على أسس من الحرية والأخاء والمساواة . ليكون لهم في أرض الله ما لغيرهم من الحقوق

وعاشوا في بلاد الغربة كما كان أسلافهم في التيه لا يفتأون يذكرون أنهم كانوا عبيداً للمصريين وبنائين مسخرين حتى تولى الله أمرهم واتخذهم شعباً له وحرَّهم . وآلوا على أنفسهم أن يظلوا الى الأبد لاهم شعباً . فاستمسكوا بعروة دينهم لتدوم لهم صبغتهم . وحرصوا ألاَّ يختلطوا مع الأجناس الأخرى بالمصاهرة لتبقى لهم مميزات جنسهم . وغالى بعضهم في ذلك فأطلقوا على أنفسهم اسم البنائين الاحرار . وتقلدوا شعار آبائهم الاولين ، واصطبغوا بصبغتهم ، وكان من جرَّاء ذلك ، انه صار لليهود في كل بلد كيان مستقل ، وشخصية متميزة ، فساءت فيهم الظنون ، وسدَّت في وجوههم أبواب الوظائف في كثير من الدول ، ولم يسمح لهم بالانخراط في سلك الجندية ، فلم يبق لهم من



ميادين لاستغلال مواهبهم ونشاطهم غير المهن الحرة والتجارة وأعمال الصيرفة ، فبرزوا فيها كلها ، وقبضوا على أزمتهما ، وأثبتوا انهم أبناء مجدهما . وأنشأوا للمال دولة وكانوا هم سادتها

أثار نجاح اليهود في مهاجرهم حسد أصحاب البلاد وحقدهم فنسجوا حولهم كثيراً من القصص وأذاعوا عنهم اشاعات للخيال فيها نصيب كبير . يدور معظمها حول الربا وقسوتهم فيه على المدنين . ومن قبيل ذلك قصة تاجر البندقية لشكسبير . ثم أذاقوهم العذاب بما افتروا عليهم . واضطهدوهم وأسرفوا في ذلك كثيراً

أدرك زعماء اليهود ان العلة فيما يكابدون من ألوان العسف هي العداء لدينهم وجنسهم من التعصب ، فازدادوا تماسكاً فيما بينهم وارتباطاً ، وحرصاً على الحرية التي وهبت لهم ، وتشبثاً بعقائدهم . وأيقنوا انهم لن يطيب لهم المقام بين الأمم إلا أن تباح الحرية الدينية ويقضى على الفوارق الجنسية

ومن هنا يبتدىء نضال البنائين الأحرار لبناء المجتمع على أساس الحرية والاخاء والمساواة . ويبتدىء من ثم تاريخ البناية الحرة وهي المشهورة باسم الماسونية كقوة من قوى الديمقراطية وكعامل له خطره في التطورات السياسية

كان الأمر فيما يتعلق بالماسونية ومبادئها وأغراضها سرّاً بين طائفة من اليهود في أول عهدها . وكانت اجتماعاتها قاصرة عليهم . لكن لم يمض غير قليل حتى كان البنائون الأحرار قد اتصلوا بكثيرين من الناقمين على نظام الطبقات الذي كان سائداً في أوروبا في ذلك الحين . لكن لم يقبلوا منهم في محافلهم إلا من وثقوا به واطمأنوا الى اخلاصه خشية أن يندس بينهم من يكون عيناً للحكومة فيفسد عليهم أمرهم . وكان تدقيق الماسونية في اختيار اعضائها واشتدادها في ذلك الى حد بعيد هو السبب في كل ما يذاع عن اسرارها الخفية ، وما ينسج حول ذلك من أقاصيص

وما وافى القرن الثامن عشر حتى كانت العلوم قد نهضت نهضة الكبرى والصناعة الآلية قد تقدمت تقدماً كبيراً . وأقبلت الطبقة الدنيا على العلوم يغترفون من مناهلها . وعلى الصناعة يشغلون مواهبهم ونشاطهم في ميادينها . ومن هؤلاء نشأت طبقة وسطى تسامت بأبصارها الى الأشراف فأنكرت عليهم ما يتمتعون به من امتيازات لا يبرر بقاءها لهم فضل اختصوا به او مزية لم تكن لغيرهم ، سوى ما أورثهم الحكم المطلق من ضياع وألقاب

وكان نشاط هذه الطبقة الناشئة المتقفة على أشده في فرنسا بفضل مؤلفات فولتير عن الحرية الدينية . وكتابات روسو عن أسباب عدم المساواة ونظريته عن العقد الاجتماعي .



والانسكاو بيديا التي جعلت سائر العلوم من طبيعية واجتماعية وسياسية في متناول الشعب . وكان من شأن كل هذا أن يوسع آفاق الفكر في فرنسا ويفتح عيون شعبها لنقد حكومتها ولما ارتبكت مالية البلاد في عهد لويس السادس عشر وماري انطوانيت لم يفت الشعب ان يروا في ذلك آية على فساد النظام القائم . وابتدأت الدعوة من ثم لاصلاحه وتتابعت هجمات الاحرار على الحكم المطلق لآبداله . وكان اول منهم سدوده الى هذا الحكم وأصاب منه المقتل هو طلبهم من الملك اجراء الانتخابات العامة للجمعية العمومية . وهذه هيئة استشارية كانت تمثل طبقات الأمة الثلاث : الأشراف ورجال الدين والشعب . وقد دعت في سنة ١٦١٤ م لاقرار تولية لويس الثالث عشر الملك وكان قاصراً . ثم لم تدع منذ ذلك الحين للانعقاد

وما زال الاحرار يلحون في طلبهم من الملك اجراء الانتخابات لهذه الجمعية ويشددون عليه النكير حتى وافق على طلبهم وتحدد لانعقاد الجمعية يوم ٥ مايو سنة ١٧٨٩

\*\*\*

كان لنواب كل طائفة قاعة خاصة يجتمعون فيها للمداولة . وكان لكل مجلس صوت في المسائل التي تعرض . فاذا اتفق مجلسان على رأي فهو الراجح . ولما كانت مصالح الاشراف ورجال الدين واحدة فقد كان يحدث دائماً أن تتفق آراء مجلسيهما فتكون الأغلبية في جانبهم . غير أن الشعب في هذه المرة قد صمم على ان يكون اجتماع الطبقات الثلاث في قاعة واحدة ثم تجري المناقشة في المسائل المطروحة وتصدر القرارات بأغلبية الأصوات . فلما انعقدت الجمعية في الموعد المقرر طرح هذا الرأي للمناقشة فرفض الاشراف ورجال الدين الموافقة عليه وأصروا على بقاء التقليد القديم . ولزم نواب الشعب موقفهم وعولوا على الاجتماع بمفردهم اذا رفض الاشراف ورجال الدين النزول على رأيهم

وبناء على هذا أرسل نواب الشعب في شهر يونيو دعوة الى نواب هاتين الطبقتين للحضور الى قاعة الشعب للقيام بالواجبات التي دعت الجمعية العمومية من أجلها . وأضافوا الى ذلك قولهم انهم يمثلون ٩٦ ٪ من مجموع الأمة . وهم يعدون انفسهم لذلك أصحاب السلطة الفعلية في البلاد

وفي الموعد المحدد اجتمع نواب الشعب . ولم يحضر النواب الآخرون . فأطلقوا على انفسهم اسم الجمعية الوطنية . وكان معنى هذا انكار وجود طوائف أخرى غيرهم وحصر السلطة في أيديهم . وبانكار امتيازات الاشراف والغاء مجلسهم قضى على نظام الطبقات وبانكار



امتيازات رجال الدين والغاء مجلسهم فصلت الكنيسة عن الدولة . ويحصر السلطة في أيدي الشعب قضي على الحكم المطلق

\*\*\*

أخذت الحوادث تتطور بعد ذلك بسرعة وفي يوم ٥ اغسطس أصدرت الجمعية الوطنية وثيقة حقوق الانسان التي أصبحت نبراساً تهتدي به الشعوب وعلى مبادئها ترتكز دساتير الأمم الحرة في العالم كله . واليكم مقتطفات منها :  
يولد الناس ويعيشون أحراراً متساوين في الحقوق . لا تمييز ولا تفاضل بينهم الا فيما تقتضيه المصلحة العامة

الغاية من كل مجتمع انساني صيانة الحقوق الطبيعية للانسان وهي الحرية والملكية وطما نينة الشعب ومقاومة الاضطهاد

الشعب هو مصدر السلطات جميعها وليس يحق لأي فرد أو أية جماعة ان يأمر أو ينهاها الا اذا استمدوا السلطة بذلك من الشعب

ان القانون هو مظهر الارادة العامة للامة ولأهل البلاد جميعاً الحق في ان يشتركوا في وضعه بأنفسهم أو بوساطة نوابهم . والقانون واحد بالنسبة للجميع . والناس سواء امام المراتب والوظائف العامة . لا تفاضل بينهم الا في اختلاف كفايتهم ولا تمييز الا في ما تقتضيه فضائلهم ومواهبهم

واذا دققنا النظر في هذه الوثيقة وتجربنا عن المصادر التي استلهمت منها المبادئ التي تنطوي عليها فانا نجد ان واضعها أخذوا عن اليونان المبدأ القائل ان الامة هي مصدر السلطات والمبدأ الآخر الذي يقول ان لاهل البلاد جميعاً الحق في ان يشتركوا في وضع الشرائع بأنفسهم أو بوساطة نوابهم . اما ما جاء فيها عن المساواة في الحقوق والمساواة امام المراتب والوظائف فهو مستلهم من مبادئ البنائين الاحرار . وانا لنلمح في عبارتها بريق الحرية والأخاء والمساواة وقد قامت الجمهورية في فرنسا على اساس المبادئ التي تتضمنها هذه الوثيقة ورفرف فوق بنائها الشامخ علم مثلث الألوان يرمز كل لون منها وهي الأبيض والأزرق والأحمر الى مبدأ من المبادئ الثلاثة : الحرية والأخاء والمساواة . وانتشرت هذه المبادئ في العالم كله وأصبح الدستور والحكومة الديموقراطية حلم كل شعب مهيبض الجناح وانغمست الماسونية الفرنسية في السياسة بعد هذا الفوز . وسارت على منهاجها محافل كثيرة في البلاد الأخرى . فلم تتوان عن تغذية روح الثورة على الحكومات الاستبدادية



وهذا هو السبب في أن كثيراً من الحكومات تنظر الى الماسونية بعين الريبة وتحاربها باعتبارها خطراً على الدولة . غير ان قوى الاستبداد لم تستطع أن تصد تيار المساواة الجارف عن مسيله

فما وافى القرن التاسع عشر حتى كانت الثورة الصناعية التي نشأت عن تقدم العلم وتطبيقه وأدت الى الثورة السياسية وفوز الديمقراطية في القرن السابق قد قاربت أوجها . لكنها لم تبلغ الذروة إلا في منتصفه حين استنبط بسمر Bessemer طريقته في صنع الفولاذ . فكانت مفتتح عصر الفولاذ الحديث . وهو يتميز بما استحدث فيه من آلات صانعة بلغت الغاية في ابداعها وسرعة انتاجها . كالمغزل المدار بقوة بخارية . وآلة الخياطة . والمحراث التجاري والحاصدة التي تربط الحزم من تلقاء نفسها . والمطحن البخاري . وغير ذلك من الآلات التي حلت محل أيدي مهرة الصناع وحذاقهم . وقطعت على ملايين منهم سبل الرزق وقضت عليهم بالتعطل . وكانت عاقبة هذا ظهور الاشتراكية التي أدت الى ثورة العمال في سبيل المساواة

وأول من قال بالاشتراكية كارل ماركس وهو من علماء الاقتصاد في المانيا ومن يهودها المنتصرين . رأى ما حل بالعمال وهالته كثرة المتعطلين منهم . وأدرك بثاقب بصره ان مشكلاتهم ان لم تحل على منهاج واضح وأسس اقتصادية قويمة فسينكب العالم منها نكبة لم يشهد قط مثلها . وعكف من ثم على دراسة شؤون العمال مذ كانت في العالم صناعة . وخرج من ذلك بالاشتراكية وجاهر بها . وهي نظرية اقتصادية تخالف في مبادئها وفي نظرتها الى العامل وعلاقته بصاحب العمل ما جرى عليه الناس وصلقه العرف من قديم

\*\*\*

وجد العمال في الاشتراكية خيراً لهم فتحمسوا لها . وكان أشدهم حماسة عمال المانيا . وهذا طبيعي لأنها موطنها ومبعث رسالتها . وكان على رأس حكومة المانيا في ذلك الحين سياسيتها العظيم بسمارك . فتظاهر في أول الامر بالليل اليها وتأييدها لغرض في نفسه ، إذ كان يسعى الى التخلص من سلطة النمسا فكان مضطراً أن يتزلف الى العمال ليشدوا أزره اذا ما تحرّجت الامور واشتبك في حرب معها . فها هو إلا أن وصل الى بغيته بعد حرب سنة ١٨٦٦ حتى تنكر للاشتراكية وقاومها بعنف لأنها تضر بكيان الدولة القومي والاجتماعي لم يفت في عضد الاشتراكية ما لقيته في المانيا من المقاومة . فما أزفت الساعة المواتية في مستهل القرن العشرين بهزيمة الروسيا وألمانيا في الحرب العظمى حتى اندلعت في كليهما نار



الثورة اذ قامت في ألمانيا حكومة اشتراكية لكنها لم تعمر طويلاً كما تعلمون. وقامت الشيوعية في روسيا ولا تزال باقية باسم الجمهورية السوفيتية  
هذا ما اصاب تاريخ الاشتراكية . اما الديمقراطية فكانت اكثر استعداداً للاخذ من نظرياتها . ففسحت لها صدرها حتى صار للعمال في تلك البلاد احزاب تنتظمهم ونواب ينطقون بلسانهم وينودون عن مصالحهم . وبحسبي ان أشير الى مشروع بيفردج الذي وسع كثيراً من المبادئ الاشتراكية وتقدم به صاحبه اخيراً الى الحكومة البريطانية ليظهر الدليل على ما اتصفت به الديمقراطية من التسامح حيال المذاهب الحرة والقابلية للتدرج في سبيل المساواة . وهناك الملكية المقيدة . وهي شكل آخر من اشكال الديمقراطية نشأ في الجزيرة البريطانية وانتقل منها الى بلاد اخرى

فقد استطاع الشعب البريطاني في عزله عن القارة ان يتدرج بالحكم من الاستبداد الى الديمقراطية مع بقاء الملك على رأس الدولة . ويرجع تاريخ الديمقراطية في تلك البلاد الى سنة ١٢١٥ حينما استطاع النبلاء ان يحملوا الملك جون على اعلان الوثيقة الكبرى وهي في جوهرها بيان بحقوق الانسان على شاكلة الوثيقة الفرنسية . ولهذا الديمقراطية شعار آخر غير شعار الثورة الفرنسية يتفق مع الملكية هو : الله والملك والشرعية . والانكليز مع ذلك اكثر الامم استمساكاً بمبادئ الحرية والاخاء والمساواة . وبلادهم هي الملجأ الأمين للهاربين من وجه المستبدين . وقد امتزجت المبادئ الديمقراطية بدماء الانكليز وأشر بواقي قلوبهم حبها وسمت بأخلاقهم الى مستوى لم تبلغه في غير بلادهم . ألم تروا كيف ضاقت مسافة البعد بين طبقتي الاشراف والعامّة عندهم حتى ان الملك يرفع ابناء الشعب الى مرتبة الاشراف بينما ينزل ابناء الاشراف غير الوارثين الى مرتبة الشعب . والعادة عندهم ان يرث الابن الأكبر اللقب والثروة وحده . فلا يرى الاشراف في هذا ما يضير حتى كأنه لا فرق في تقديرهم بين الطبقتين

وقد كان لهذه الروح الديمقراطية العالية أثرها في توكيد الاواصر بين طبقات الشعب الانكليزي . فلما ثارت نائرة الحرب وأطبقت ويلاتها على العالم . أظهر الانكليز من الاتحاد والتماسك وقوة الاحتمال ما جعلهم جديرين أن يلقبوا بحماة الديمقراطية وحصنها الحصين

\*\*\*

هذه هي الديمقراطية وهذه مبادئها . فاذا رأيتم انها فشلت في بلد من البلاد وتصدّع صرحها وانهار او كاد فانظروا ماذا هناك في ذلك البلد مما ينافي بمبادئ الحرية والاخاء والمساواة.



# غاز الحامض

## الكربونيك

ومنافعه في الحرب الحالية (١)

قتل الغاز في الحرب العالمية السابقة أفواجاً من المحاربين وغيرهم. أمّا في الحرب الحالية فينقذ حياة الوف من المقاتلين ، في الجو والبحر والبر وتحت الأمواج على السواء . والغاز الذي يضطلع بهذه الاعمال الباسلة هو غاز الحامض الكربونيك ، ذلك الذي يزفره المرء كلما تنفس . وهو الذي يهيج المعاطس حينما يتناوله الانسان في المشروبات الغازية « كالـكازوزة والصودا والبيرة وما اليها من السائلات الفوّارة » وهو أيضاً مقبب الخبز . وينتج من التخمر كمستخرج ثانوي ، وينطلق من الهواء بالاحتراق . ويمكن استخراجه من المطابخ ، وذلك بارقة الخل على مسحوق التخمير baking soda الكيمائي ( الذي يحضر من الصودا ويحل محل الخيرة الطبيعية ) كما يوجد في مياه الينابيع الشهورة في أنحاء العالم . وهو يفور من الآبار الجافة . وجل غاز الحامض الكربونيك المستعمل في الحرب الحالية يستخرج من غازات أفران خم السكوك

ومن أسباب نفع هذا الغاز كل النفع ، في الجهودات الحربية ، سهولة ضغطه ضغطاً شديداً بحيث يمكن تمده عند اطلاقه حتى يزيد حجمه ٤٥٠ مرة . وهذا التمدد يجعله صالحاً جداً لنفخ مناطق وأطواف الانتقاذ من الغرق وزوارق المطاط والجسور العوامة وأكياس التعويم التي تساعد على حمل الطائرات وهي جاثمة أو في المياه أو على سطحها . ومن أحدث منافع الضغط المشار اليه ، فتح الأبواب المغلقة في قاذفات القنابل ، وانزال أجهزة الهبوط على الأرض

ولغاز الحامض الكربونيك عمل آخر خطير الشأن في ابان الحرب ونعني به اطفاء الحرائق وذلك لأنه أثقل من الهواء ، سريع الانقشاع . وبما أن الهواء يحتوي عادة على غاز الاكسجين بنسبة ٢١ ٪ والنيران التي تتولد من احتراق البنزين تكون شديدة جداً ، ويتطلب اشعالها ١٦ ٪ من غاز الاكسجين فاطلاق مقدار ضئيل من غاز الحامض



الكربونيك المضغوط ، يقلل سريعاً نسبة الاكسجين بقدر الثلث فتطفأ النار  
 وإذا تمجد غاز الحامض الكربونيك أطلق عليه اسم ( الثلج الجاف ) وقام مقام الثلج  
 في تبريد الماء كولات والمشروبات للقوات المحاربة كما يستعمله صناع الدندمة وبعاتها في أميركا  
 وغيرها ويبدل غاز الحامض الكربونيك في الانقاذ من الفرق قصارى جهده وذلك في  
 نفخ مناطق النجاة وزوارق البلونات . وقد تمّ انقاذ ألوف من البحارة والطيارين والجنود  
 بوساطة عطيفات ( جاكتات ) الانقاذ وهي الصديريات التي سميت باسم ماي ويست  
 Mae West الممثلة المشهورة ويمكن نفخها بجذب حبل . وتوجد مناطق أخرى تنفخ عادة  
 بضغط خرطوشتين على شكل السيجار تحتويان على غاز الحامض الكربونيك . وهناك طراز  
 آخر له خرطوم وبهذا الخرطوم يمكن إعادة نفخه بالفم . وبلغ من احكام هاتيك المناطق  
 والصديريات وخفتها أن الجنود يلبسونها في أغلب الاحيان في الادغال حيث يضطرون الى  
 خوض جداول المياه وعبور المستنقعات

\*\*\*

والقوة الفعالة للحامض الكربونيك ، هي سبب تحسين اختراع زوارق المطاط تحسيناً  
 رائعاً . فاذا هوت طائرة حربية من الطائرات الحديثة الى البحر فتخطمت ، ففتح بابها لذاته  
 ( اوتوماتيكياً ) فيبرز منه في الحال زورق من المطاط يكون مَعْدَاً ومنفوخاً من قبل .  
 ويرجع الفضل في مهيئته الى القوارير الصغيرة القوية المملوءة بغاز الحامض الكربونيك  
 لأن المياه التي تتسرب في جسم الطائرة تعطل آلاتها المحركة . وإذا سقط طيار من مقعده  
 بالطائرة على الماء حمل معه رزمة مسطحة في حجم صندوق صغير ، تحتوي على اسطوانة ذات  
 صمام ، مملوءة بغاز الحامض الكربونيك فيدير ذلك الصمام ، فتنفخ الاسطوانة حتى تتحول  
 الى زورق مطاط معدّل لحمله وذلك قبل وصوله بها بطنه الى سطح الماء . وهذا الغاز نافع  
 لنفخ الجسور العائمة الضخمة في حالة الطوارئ فتحمل القناطر الوقتية التي تنصبها فرق  
 مهندسي الجيش المحارب . ومن غرائب منافع ذلك الغاز استعماله أيضاً في نفخ أنابيب  
 المطاط وكراته الضخمة التي تمكن الطائرات البرية من العموم حينما تضطر الى الهبوط في اليم .  
 وقد اخترعت هذه الطريقة لاجل طائرات الجيش الاميركي قبل نشوب الحرب الحالية ولكنها  
 أهملت لأن غرق الطائرة المقاتلة خير من ابقائها عائمة مخافة التقاط العدو لها فيقف على الاجهزة  
 السرية التي تنطوي عليها . بيد أن تلك الطريقة كثيرة الاستعمال في طائرات النقل والعبور  
 ( المعديات ) محافظة على ابقائها عائمة ريثما يستطيع ملاحوها وركابها النجاة بزوارق المطاط  
 وأجهزة الانقاذ الأخرى



ولهذا الغاز محاسن مشهورة في انقاذ ألوف من الطيارين الذين يستهدفون للحريق في طائراتهم الحربية اذ المعروف أن نفعه مقصور على اخاد جذوة النار التي تضطرم حول الحركات الميكانيكية للطائرات في اثناء طيرانها في الجو أو استخدامها على سطح الأرض . إلا أن بعض الخبراء قد رأى بثاقب بصيرته أنه عقب نفس كثير من الطائرات أثر أصابة خزاناتها الفارغة من البنزين بالرصاص المحرق حين ينفذ البنزين من خزانه ، يتخلف منه غاز يجعله عرضة للنسف أكثر مما لو كان الخزان مملوءاً به والبنزين سريع الاشتعال واما بخاره المزوج بالهواء فمادة شديدة الانفجار مثل الترينيتروتولويل T. N. T. أي trinitrotoluol اذا لم تقفه في قوة الفرقة . فكان ذلك العبقرى المجهول الذي اقترح وجوب غمر خزانات البنزين الفارغة بغاز الحامض الكربونيك سبباً في ابقاء كثير منها سليمة الى الآن ولولاه لأصبحت في خبر كان

وبما ان الطائرات تصان دائماً من تيارات الهواء صوتاً محكماً إلا أنها حينما تتراكم فيها غازات البنزين تصير مثل قنابل ضخمة لا تلبث أن تنفجر حالما تمسها أية شرارة أو رصاصة متأججة . وحينئذ يستعمل هذا الغاز الخامل غير السام لاقتفاء آثار أبخرة البنزين حيث تكمن في زوايا مستودع البنزين متحفزة للانطلاق

وتصان من الحريق السفن ولاسيما ناقلات الزيت المعدني ، بأجهزة ذلك الغاز فتنسق تنسيقاً من شأنه تسهيل ادارتها باليد أو بالحرارة أو بالبصاصة الكهربائية . وقد نصبت أجهزة أخرى لمكافحة النيران في الزوارق السريعة التي يستخدمها الاسطول الاميركي للحراسة إذ تكون محركاتها الميكانيكية الدائمة الحركة عرضة للحريق

وفي الغواصات التي تجوب أعماق المحيطات بحثاً عن فرائسها ، وفي الدبابات التي تسير متشاقلة على البر ، تكون أجهزة غاز الحامض الكربونيك حارسه لها في اثناء الليل لتخمد ما عسى أن يشب فيها بغتة من الحرائق التي قد تكون أشد خطراً في الاماكن المحجوزة مما تكون في غيرها . وثبت عظم نفع هذا الغاز في الحالات الخاصة بالدبابات حيث تشتعل النيران من فرقة أنبوب العادم . حينما تهاجم الدبابات وتقذف عليها قوارير البنزين المشتعلة التي يسميها الروس قوارير مولوتوف وهي مملوءة بمئات من جالونات الزيت المعدني والبنزين حول محركها والريح عاصفة يشتد اللهب حتى يصير جزء من الجحيم . وكثير من الدبابات يحمل كل منها قارورتين من الفولاذ ، فاذا اشتعلت النار في محركها الميكانيكي ، تسنى جذب الغاز المشار اليه الى مكان المحرك ، وذلك بادارة صمام معين مركب فيه

وأكبر الاجهزة الخاصة بغاز الحامض الكربونيك ، هو الطراز المستعمل في بواخر نقل



البضائع ، ويؤلف من منصة طويلة تؤلف من اسطوانات مملأً بذلك الغاز ومن جهاز أوتوماتيكي يدل على الحريق تديره بصاصة كهربائية. فتقوم هذه العين<sup>(١)</sup> أثناء الليل وأطراف النهار «حينما تجول الباخرة في أرجاء البحار مُقلّعة وسقمها الثمين» بفحص الهواء الذي يمرُّ بها بعد عبوره بالمنقولات ، وحالما يظهر الدخان ، يتحرك الجهاز فينبعث من الصهاريج سيل من غاز الحامض الكربونيك فيخمد اللظى . وهذه الاجهزة المحكمة الصنع شائعة الاستعمال في المصانع التي تنتج المعدات الحربية وبالأخص المشتغلة منها بالسائلات المحللة للمواد المختلفة وبالبزوت المعدنية والبزوين والدهان والورنيش . وفي المرافق العامة حيث تولّد الكهرباء وتوزع ، أجهزة ضخمة لاطفاء الحرائق بالغاز السابق الذكر لأن استعمال خراطيم المياه المألوفة يكهرب في الحال عمال الاطفاء الذين يديرونها إذ التيار الكهربائي يسري في مجرى المياه حينما يمرُّ فيه سلك كهربائي ذو تيار قوي أو جهاز مسحوق بالكهرباء ، وثمة أجهزة متنقلة للاطفاء بالغاز توضع في ( عربات التهشم ) التي تستخدم في مئات من الموانئ الجوية الاميركية وبوساطاتها أمكن انقاذ كثيرين من العمال والطيارين بُعيد شوب النيران بثوانٍ في الطائرة الحطمة . ويوجد نوع آخر من أجهزة الاطفاء المتنقلة يستعمل في المصانع التي تنتج العتاد الحربي في اثناء الحرب ويؤلف من عربة تشبك بأية سيارة كانت فتجرها الى موضع شوب النار . وهذا الجهاز يحمل ستة صهاريج كبيرة من غاز الحامض الكربونيك وما يتبعها من الصمامات وخرطوماً لاطفاء الحريق بذلك الغاز

\*\*\*

وكان هذا الغاز موجوداً من بدء الخليقة غير أن الخلق لم تعرفه الا في القرن الثامن عشر . وذلك أن انكليزيا مولعاً بعلم الكيمياء ونعني به العالم جوزيف بريستلي Joseph Priestly كان يقطن بجوار مصنع للبيرة ، فدهش ذات يوم اذ رأى الفقاقيع تتصاعد من الشعير المنبت المزوج بالماء الساخن المعد لاستخراج البيرة ، فالتقط منها مقداراً كبيراً وفحصها فأدرك كنهها . ثم نقل ذلك السر العلمي الى الولايات المتحدة الاميركية حيث أقنع أحد الصيادلة بادخاله في صنع المشروبات لتحسين طعمها فكان بريستلي اول مخترع للمياه الغازية . ويعتقد ياندل هندرسن الاستاذ بجامعة ييل الاميركية Yale ان الحامض الكربونيك الذي يظنه العلماء اجمعون من المواد العاطلة في الجسم ، يكاد يكون ضرورياً للجسم كالأكسجين لانه ينبه الدورة الدموية والتنفس .

(١) المترجم — وصفت البصاصة الكهربائية في مقتطف نوفمبر ١٩٣٣ ومقتطف ديسمبر ١٩٣٧



# الدين والفلسفة

معناها ونشأتها وعوامل التفرقة بينهما

لمحمد يوسف موسى

الإنسان طليعة بطبعه ، يود دائماً أن يعرف نفسه وما يحيط به ، وأن يتعرف علل ما يراه من حوادث وظواهر . وبعبارة أخرى يود لو استشف الغيب ، فعرف العالم والقوة التي أوجدته ، والنظام الذي يسير عليه ، والاصل الذي كان منه والغاية التي ينتهي إليها . ولقد لجأ أول الأمر — بعد أن تقطعت السبل بينه وبين النبوات الأولى — الى فروض مختلفة كانت المعين للأساطير الدينية والفلسفية ، ثم وجد بعد هذا في الفلسفات الصحيحة والأديان الحق ما أَرْضَى نهمه الفكري ووطد إيمانه ، وما أناله حلول أكثر المسائل والمشاكل التي أثارها ما فطر عليه من طليعة

ولعل التفكير الديني كان أول لون من ألوان التفكير الإنساني ، لأن الإيمان بقوى طبيعية أو فوق الطبيعية يكاد يكون مركزاً في فطرة الإنسان ، فيضيف إليها التصرف في الكون واحداث ما يشاهد من ظواهر ، ويعبدها ممثلة فيما يرى من جماد أو حيوان أو اجرام سماوية ، ويضع لعبادتها ما يهديه اليه فكره من طقوس وتساويع . ثم كان أن تطور الإنسان وتقدم التفكير ، فتناول ما كوّنه المرء في الطور الاول من عقيدة وتشريع فشرع بفلسفه ، ثم تقدم خطوة أخرى فتجاوز الإنسان بالنظر الفلسفي حدود العقيدة الى الكون كله ومصدره ونشأته وما يتناوبه من كون وفساد ، غير متقيد في تفكيره بما ورث من دين وتقاليد ، فكان من هذا ما نعرفه بالفلسفة الحقيقية بهذا الاسم . ثم وجد الإنسان بعد ذلك كثيراً مما يتطلع الى معرفته فيما جاء به الرسل من ديانات صحيحة عن الله بعد أن بلغوا الذي أرسلوا به فداع بين الناس

وكان حريصاً بالتفكير الفلسفي ، وقد نشأ اول ما نشأ في حدود العقيدة والدين ، أن يظل متعاوناً مع الدين فيما يروم المرء ويعمل جاهداً له : من فهم العالم وحقائق الموجودات ، ومن الوصول بالإنسان الى السعادة التي يرجوها من وراء العلم الحق — الذي تسكن له النفس — بالعالم أرضه وسمائه . كان هذا حريصاً بالفلسفة ، ولكن لعوامل مختلفة مجّلت تاريخ التفكير ما كان



من وفاق أحياناً وخصومة أحياناً بين الدين والفلسفة كما سجل آثار ذلك في التفكير الانساني العام. غير أنه قبل الكلام في هذا رى من الخير أن نحدد ما نريد بكلمة «دين»، وكلمة «فلسفة»، ليكون الكلام محدداً والطريق مأموناً

١ — للدين معان متعددة، بعضها يرجع الى اللغة، وبعضها يرجع الى الشرع. ففي لسان العرب أن الدين هو الجزاء والطاعة والعادة والاسلام، ويقول الاصفهاني: «والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشرعية والدين كالملة<sup>(١)</sup>» والفرق بينهما في رأيه أن الدين يضاف الى الله والى النبي، بينما الملة لا تضاف الا للنبي الذي تسند اليه ولا تكاد توجد مضافة الى الله، فلا يقال ملة الله كما يقال دين الله ويقال ملة ابراهيم مثلاً كما جاء في القرآن<sup>(٢)</sup> ويرى الشهرستاني<sup>(٣)</sup> أن الدين الطاعة والانقياد، وأنه قد يرد بمعنى الجزاء والحساب، وإن الملة والشرعية يتفرعان عن اجتماع الناس وحاجتهم في سبيل خيرهم للتألف والتعاون. والجرجاني يرى أن الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار، فالشرعية من حيث أنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، وقيل بينهما فرق وهو أن الدين منسوب الى الله والملة منسوبة الى الرسول<sup>(٤)</sup> وبعد هؤلاء جميعاً نجد النّهانوي يقول أن الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالاسلام، ويضاف الى الله لصدوره منه والى النبي لظهوره على يديه والى الامة لتدينهم به وانقيادهم له

\*\*\*

هذا، والدين، اذا لوحظ من الناحية اللغوية وحدها، يطلق على الدين الحق والدين الباطل أيضاً ما عدا ما لا يقدر بالبعث والجزاء، والقرآن يقر هذا حين سمي ما كان عليه العرب ديناً اذ يقول «لكم دينكم ولي دين». لكن الدين صار له معنى شرعي خاص لما اشترط فيه أن يكون وحياً من الله لهداية الناس بما يجيء به من عقائد وأصول عامة لا يتطرق اليها النسخ ولا يختلف فيها الانبياء، ويدل لذلك قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»، فإن المعنى كما ذكر المفسرون: أوصيناك يا محمد وسائر الانبياء ديناً واحداً ذلك هو معنى الدين في اللغة والشرع، منه نقيض أن الدين يقوم على الايمان بقوة علميا تحب طاعتها وتجازي المرء على ما يعمل، ويمد الانسان بحلول لكثير من المشاكل التي سبق

(١) المفردات في غريب القرآن ص ١٧٥ (٢) المصدر نفسه ص ٤٨٨ (٣) المال والنحل ١ : ٤٦ (٤) كتاب التعريفات



أن وقف أمامها فكره وفرض فيها الفروض . فلنأخذ الآن في بيان معنى كلمة فلسفة ، لنرى ما قد يكون من صلة بين الدين وبينها في نشأتها وغايتها

٢ — والفلسفة كذلك اختلفت الآراء في تحديدها وبيان موضوعها ، فكان لنا من هذا تعاريف متعددة لها ، ويكفي أن نذكر من بين هذه التعاريف ما ذهب إليه أساطين الفلسفة الاغريقية وبعض الفلاسفة والمفكرين في الاسلام

١ — يرى سقراط أن الفلسفة هي حب الحكمة والسعي وراءها ، وهي في رأيه تكاد تنحصر في معرفة الانسان نفسه

ب — ويرى تلميذه الأشهر أفلاطون انها — بمعناها الاخص — معرفة عالم المثل ، أي الأشياء الثابتة وجواهرها الدائمة

ج — ويرى أرسطو أن الفلسفة — بمعناها الاخص أيضاً — علم ما وراء الطبيعة ، أي تعرف العلة الأولى للأشياء أو تعرف المبدأ الأول

د — واخوارزمي يرى انها علم حقائق الأشياء ، في الطبيعة أو فيما بعد الطبيعة أو الرياضيات ، والعمل بما هو أصلح <sup>(١)</sup>

ه — ويذهب ابن سينا الى ان الحكمة استكمال النفس الانسانية بتصوير الامور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الانسانية <sup>(٢)</sup> وبمثل هذا قال الفارابي وابن رشد

و — ويرى الشهرستاني ان الحكمة تطلب ليعمل بها أو لتعلم فقط ، فهي لهذا علمية وعملية ، فالقسم العملي همل الخير ، والقسم العلمي ، علم الحق <sup>(٣)</sup>

ز — وأخيراً يذكر طاش كبرى زاده ان الفلسفة نظرية وعملية . والأولى تشمل العلم الالهي أو علم ما بعد الطبيعة والعلم الرياضي والعلم الطبيعي ، وأن العلم الالهي — وهو العلم الأعلى أو الفلسفة الأولى — هو البحث عن حقائق الموجودات من حيث هي موجودات <sup>(٤)</sup>

ومن هذه التعاريف جميعها نستطيع أن نقرر ان الفلسفة هي التفكير الحر في الاله والكون والانسان . أو نظر العقل الحر الذي يراد به معرفة حقائق الموجودات والمعلولات وعلاها ، في العالم الاكبر المحيط بالانسان ، والا صغر الذي هو الانسان ، وفي المبدأ الأول لهذا كله . أو هي التفكير الحر لكشف المجهول وإسماع الانسان

(١) مفاتيح العلوم ص ١٣١ (٢) تسع رسائل ص ٢

(٣) الملل والنحل ٢: ١٥٦ — ١٥٧ (٤) مفتاح السعادة ١: ٢٥٥



والفلسفة — كما أشرنا من قبل — نشأت في حدود العقيدة والدين ومن غايتها إسعاد الانسان ، ومن ثمَّ التمس الأمر على بعض المفكرين فجعل الغرض منها هو غرض الدين . هذا ابن حزم يصرح بأن الغرض من الفلسفة هو اصلاح النفس ، وإن هذا نفسه هو الغرض من الشريعة ، وأنه لا خلاف في هذا بين أحد من رجال الفلسفة وأحد من رجال الشريعة <sup>(١)</sup> وهذا ما لا يستطيع الباحث تسليمه له ، اللهمَّ إلا أن قصرنا الفلسفة على القسم العملي منها ، أو قلنا أن الغاية من القسم النظري تسكين النفس الطلعة القلقة وإذهاب حيرتها بالمعرفة والعلم ، فيكون ذلك عوناً لها على السعادة !

\*\*\*

ومهما يكن من الفرق بين الدين والفلسفة ، فإن ابن سينا يربط بينهما برابط دقيق متين يجعل — في رأبي — فضلاً واضحاً للدين على الفلسفة <sup>(٢)</sup> ، إذ يرى أن مبدأ الفلسفة العملية مستفاد من جهة الشريعة الالهية ، وأن مبادئ الفلسفة النظرية مستفادة من أرباب الملة الالهية ثم تعمل القوة العقلية على تحصيلها بالكمال ، وأن من أوتي استكمال نفسه بهاتين الحكمتين فقد أوتي خيراً كثيراً <sup>(٣)</sup>

ومعنى هذا أن المرء لا غنى له في سبيل سعادته عن الدين والفلسفة معاً ، وإن كان الأول فضل على الاخرى

لكن هذه النتيجة التي تلزم الشيخ الرئيس لا ترضي طبعاً الكثير من رجال الدين . ولنعقد أن طاش كبرى زاده كان يرمي عن قوسهم إذ يقرر أن الدين جاء بالعدل حقيقة ، وأما الذي استحسنته عقول الحكماء — يعني الحكمة العملية التي القصد منها إصلاح النفس والمنزل والامة — فهو السياسة الاصلاحية التي يبقى بها نظام العالم وإن لم تصلح بها أمور الآخرة ، وأن الذين يقولون لا بدّ للشرع من انضمام السياسة جهلة وعوام لأن الشرع لا يحتاج الى غيره ! وكيف يحتاج الشرع الى السياسة والانبياء تكل بهم أمور الدارين وما يصلح به البشر علمياً وعملياً <sup>(٤)</sup> وهذا الرأي ، أعني حاجة الدين أو عدم حاجته للفلسفة ، من المزالق الخطيرة ، ومع ذلك فإن لي فيه كلاماً يأتي في محله من هذا البحث بفضل الله وتوفيقه

والآن ، وقد وضع معنى الدين والفلسفة ونشأتهما وموضوع كل منهما والصلة الطبيعية بينهما ، ننقل الى الحديث عن أهم العوامل التي فرقت بينهما أو بين رجاليهما ، وجعلت

(١) الفصل ١ ص : ٩٤ (٢) لعله أراد بهذا التوفيق بين الوحي والعقل على ما سيجيء بيانه

(٣) تسع رسائل ص ٢ — ٣ (٤) مفتاح السعادة ص ٣٣٦



منهما معسكرين لكل منهما أشباع يتربص بعضهم ببعض الدوائر ، بينما كان من الواجب أن يسير كل منهما مع الآخر جنباً الى جنب ، ما دام هما معاً المعينين الذين يرجع إليهما الانسان في كشف المجهول ، وما دام من غرضهما جعل الانسان خيراً فاضلاً سعيداً !  
هذه العوامل منها ما يرجع الى السياسة ، ومنها ما يرجع الى التنازع على عروض هذه الحياة ، ومنها ما يرجع الى طبيعة الدين وطبيعة الفلسفة . وسنستبين من سياق الحديث فيما يأتي ما يتصل بالضربين : الأول والثاني ، فلنجعل الكلام الآن في الضرب الأخير وحده ، معتمدين على التحليل والتأمل الذاتي

\*\*\*

تكاد الغاية من الدين تتمحض في هداية الناس للخير والسعادة ، لا في تفهيم حقائق الموجودات وما يعترى العالم من كون وفساد ونحو هذا مما هو غاية الفلسفة النظرية . فاذا جاء الفلاسفة وحاولوا الكشف عن ذلك عدّهم بعض رجال الدين جماعة تحاول الوصول الى ما استأثر الله بعلمه ، ورأوا فيما يحاولون ما لا يتفق وإجلال الله الذي يعلم وحده كل شيء

ثم نجد الدين يوحى الى المتدين أنه ليس بشيء في جانب الله وأنه عاجز كل العجز عن فهم نفسه ، بله العالم والسموات وما فيهن وما بينهن ! فاذا أتى الفيلسوف يعلن مقدرة العقل على تعرّف هذا كله رماه رجل الدين بالحق والغر والتناول الى ما ليس في طوقه ! ويوردون في هذا قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلاً »

وأخيراً ، رأى رجال الدين تحبّط المتفلسفين كثيراً وترديهم في الخطأ والضلال ، فكيف اذا يؤمنون لهم فيما يذهبون اليه مما لو كان في معرفته خيراً للانسان لبيّنه الله ورسله ، أو لم يحلّ بيننا وبين البحث فيه ! وكان من الخير — لهذا — في رأيهم مجافاة الفلسفة سداً لطريق الخطأ فيه في رأيهم أكثر من الاصابة !

ولعل سقراط نظر الى هذا كله أو بعضه حين رأى لنفسه ان يكون فيلسوفاً يعني بالمسائل الانسانية لا بعلم الطبيعة ، وحين اعتبر علم الطبيعة علماً باطلاً مجدياً وفيه اهانة للالهة ان البحث في علم الطبيعة — فيما يرى — بحث باطل وعبث ، لأن الطبيعيين لم يتفقوا على مسألة من مسائله ، والاختلاف والتناقض أماراة الجهل . وهو مجذب لا خير يرجى منه ، لأن هؤلاء المعنّيين به هل يعتقدون أنهم ان عرفوا ما عليه العالم من قانون — به



تحدث ظواهره — يستطيعون أن يحدثوا الرياح والمياه والفصول ! والبحث في هذا العلم فيه اهانة للآلهة ، لأن الآلهة منحتنا القدرة على معرفة الاشياء الانسانية بالتفكير ، واستأثرت بمعرفة الاشياء الالهية مثل تكون العالم وما يتصل بهذا من المسائل الطبيعية ، وعلماء الطبيعة — حينما بحثوا في هذا الضرب من المسائل وأهملوا الضرب الأول — قد قبلوا النظام الالهي باحتقارهم ما مُنحوا بالقدرة على معرفته وتطلعهم الى معرفة ما احتفظ به الآلهة لأنفسهم ! (١)

وأخيراً ، لقد ثبت من تاريخ التفكير الفلسفي ان الفلسفة حاولت ان تجعل من نفسها ديناً يغني الانسان عن الأديان المختلفة ، كما نعلم من الفلسفة الرواقية والافلاطونية الحديثة . وكذلك نعلم ان بعض الفلاسفة « كافلاطون » عنوا بنقد الدين الذي كان سائداً في أيامهم ، وأن آخرين كاخوان الصفاء كانوا يرون ان الدين الاسلامي ليس كاملاً بنفسه ، وانما الكمال يكون متى انتظم الدين والفلسفة معاً وأفاد كل منهما من الآخر وكفى بهذا وذاك في أن يضرر رجال الدين للفلسفة ورجالها للدين .

\*\*\*

هذه هي العوامل ، الراجعة الى طبيعة الدين والفلسفة ، التي قد تدفع الى الخصومة بينهما ! طبيعة الدين الذي مصدره القلب الذي يفتتح للعقيدة بالهام قوة عليا وإن لم يقيم على ما يعتقد دليل في رأيه ، وطبيعة الفلسفة التي أداتها العقل الذي يستقرئ ويحلل ويقول ثم يعتقد غير متقيد بآداب الامر بعقيدة أو رأي لم يقيم عليه دليل . وبإضافة العوامل الاخرى ، التي سبق أن أشرنا الى مصدرها والتي مسيحية لها ذكر في محالها ، كانت الخصومة التي سجلها التاريخ . هذه الخصومة كانت تشتد وتخف ، وتستعلن وتستمر تبعاً لتعصب رجال الحكم أو تسامحهم ، ولقوة رجال الدين أو ضعفهم ، ولغير هذا وذاك من العوامل التي كان لها أثرها في تلك الأيام

وفي بيان هذا النضال بين الدين والفلسفة ، أي بين هاتين القوتين اللتين تحددان للأمر أهدافها وغاياتها ، يتسع القول لو وجدا مجالاً ، ولذلك نكتفي في عرضه — لدى المسامحين — وفي بيان آثاره بإشارات أو لمحات فيها غناء لمن ألمَّ بطرف من تاريخنا الفكري ، ومنتهككم أولاً عما كان من ذلك في المشرق ، ثم عما كان منه في المغرب ثانياً « يقبع »

(١) دراسات في تاريخ الفلسفة للاستاذ « اميل بوترو E. Bautroux » بالفرنسية ص ٢٢ — ٢٣



## معدن المغنيسيوم

خفيف ، مشتعل ، وافر

لازم في الحرب والسلام

كان المغنيسيوم في الماضي القريب اداة من ادوات المعامل في المعاهد المختلفة مرتفع الثمن اذ كان لا يقل ثمن الرطل الواحد منه عن جنيه أو أكثر ولا يستخدم الا في احوال معظمها يعتمد على النور الوهاج الذي ينبعث منه عند احتراقه

وكانت المقادير التي تنتجها الولايات المتحدة في عام ١٩١٨ ضئيلة لا تزيد عن ٢٨٤ الف رطل ولكن الانتاج في عام ١٩٤٢ ارتفع الى رقم هائل مقداره ١٢٥ مليون رطل ولا تمضي سنة ١٩٤٣ حتى يصل الى ٤٠٠ مليون رطل او يزيد وليس بين المعادن معدن ارتقى الى هذه المرتبة في هذا الوقت القصير

ويدين المغنيسيوم بشهرته الى طبعه فهو حاد المزاج خفيف الروح وهو كسحق أو على شكل قطع صغيرة رقيقة يلتهب بسهولة البنزين ولهبة ابيض يحيل الى الزرقة شديد لا يستطيع الماء أن يخفف من حدته

وأما اذا كان المعدن على شكل ألواح سميكة أو قضبان او ما شاكلها فانه لا يلتهب ولو اقترب منه لهب قوي وهو في هذه الحالة أخف معادن الأرض وزناً

وتحتاج الامم المتحاربة الى ملايين من ارباطال المغنيسيوم معظمها يستعمل في القنابل الحارقة وفي الاشارات الليلية وفي اضاءة المناطق التي يراد تصويرها ليلاً وفي كل خامس رصاصة من رصاصات الطائرات المطاردة وغيرها من المواضع التي يحتاج فيها الى ضوء ناصع أو لهب قوي ليس من السهل اخماده

وتحتاج الامم المتحاربة الى ملايين أخرى كثيرة من ارباطال المغنيسيوم ففي كل محرك طائرة تقوم ١٨٠ رطلاً من المغنيسيوم مقام ٢٧٠ رطلاً من الألمنيوم الذي كان الى عهد قريب يغرب به المثل في الخفة وهو اقتصاد في الوزن كبير مقداره ٣٦٠ رطلاً في طائرة من ذوات



الحركات الأربعة أي ما يعادل زنة رجلين أو أن شئت ٣٦٠ رطلاً زيادة في حملة القنابل ومع كل هذا الانتاج من ملايين اربطال المغنيسيوم فإن هذا المقدار لا يسمح باستعماله في غير الحرك ولكن مهندسي الطيران يترقبون بفارغ الصبر الوقت الذي يستعيضون فيه عن الالومنيوم بالمغنيسيوم

وكانت الحالة التجارية قبل الحرب تجعل من انتاج المغنيسيوم محلياً في كل بلد صناعة لأرباح فيها إذ العرض منه كثير والطلب قليل فلما نشبت الحرب وأصبح لكل امرئ ما كسبت يده اهتمت كل أمة باستخراج أكثر ما يمكن استخراجه من هذا المعدن النفيس واستعماله في أهم انواع اسلحة الحرب الحديثة - قاذفات القنابل وطائرات القتال

فعنصر المغنيسيوم من أخف العناصر على الإطلاق وليس بين العناصر الفلزية سوى عنصرين أخف منه وهما البريليوم والليثيوم. إذ ثقله النوعي ١٧٤ أما الالومنيوم فتقله النوعي ٢٥٦ والحديد الصب ثقله النوعي ٧٢١ والصلب ثقله النوعي ٧٨١ فإذا خلط المغنيسيوم بمقادير يسيرة متفاوتة من الالومنيوم أو المنجنيس أو الزنك أو السليكون أو الكاديوم أو الفضة أصبح الخليط فلزاً متيناً يسهل ليّسه وسحبه فيصلح للاستعمال استعمالاً واسع النطاق في صناعة السيارات وغيرها

وليس المغنيسيوم من المعادن النادرة فهو ثالث عناصر الأرض كثرة ولكن الطبيعة لا تمنح خيراتها لكل عابر سبيل. وكثرة المغنيسيوم لا تعني سهولة الحصول عليه وعزته في استخلاصه فهو لا يوجد منفرداً أبداً بل متحدداً دائماً ببعض العناصر الأخرى وهذه الخاصة هي التي تجعله عظيم النفع في القنابل المضيفة فاتحاد المغنيسيوم بالكسجين الهواء مما تقرر له عين الباحث في الظلام

ولقد بحث العلماء ونقبوا فوجدوا أن للإنسان منبعاً لا ينضب من هذا المعدن المرغوب فيه فهو يوجد تحت أنف كل أمة وفي متناول كل صناعة بمقادير وافرة لا سبيل إلى استنفادها ولو زاد الاستهلاك آلاف اضعاف ففي كل ميل مكعب من مياه البحر خمسة ملايين ونصف مليون طن من المغنيسيوم وإن شئت صورة أقرب إلى الدهن فقل أن في كل مائة لتر من ماء البحر ربع رطل من المعدن

واستخراج المعادن من ماء المحيط ليس جديداً في هندسة التعدين ففي الولايات المتحدة مصانع تستخدم يومياً مليوناً ونصف مليون متر مكعب من ماء البحر بعضها للتبريد وبعضها لاستخراج البرومين والباقي لاستخراج المغنيسيوم



وطريقة استخراجها تبدو سهلة فقواقع البحر تجمع ثم تحرق فيتكوّن منها الجير ويخلط هذا الجير بماء البحر فتتكوّن أملاح معروفة تسمى المانيزيا ( تستعمل عادةً كمسحل ) وهذه المانيزيا عند معالجتها بالحامض الايدروكلوريك المستخرج من أملاح البحر أيضاً تتحوّل الى كلورات المغنيسيوم وهي مادة مركبة كما ينم عليها اسمها من الكلور والمغنيسيوم ثم تجفف وتصر في أفران خاصة ثم يفصل الكلور عن المغنيسيوم بالتيار الكهربائي فيجمع الكلور في الحالة الغازية لاستعمال خاص . أما معدن المغنيسيوم المنصهر فيصب في سبائك

\*\*\*

ومما يجعل المغنيسيوم أكثر صلاحية وأشيع استعمالاً ان اضافة قليل من عناصر اخرى اليه يزيد في مرونته واحتماله . وأحسن السبائك المستعملة في الطائرات يمكن معاملتها معاملة الصلب فهي تطرق في صفائح أو تسحب في قضبان أو تصب في قوالب . وهو أسهل المعادن استعمالاً فالآلات الحادة تقطع فيه كما يقطع السكين الساخن في الزبد وهو من الخفة بحيث يعادل وزنه أقل من ربع وزن الحديد

ولكن هناك صعوبة واحدة إذ يأبى المغنيسيوم إلا العودة الى الفطرة وميله الى الاتحاد باكسوجين الهواء في أثناء استعماله هو أخطر الانتكاسات . فالمغنيسيوم المنصهر ( ولا بد من صهره في بعض الحالات ) سهل الاحتراق اذا تعرّض للهواء وأما في أثناء قطعه فان الرذاذ الصغير الذي يتناثر من آلة القطع أشد خطراً من مفرقع بجانبه لهب فلا بد في أثناء الصهر من عزل الهواء بمواد كالمواد المستعملة في لحام الاكسجين وغيره ولا بد في أثناء القطع من ازالة البقايا أولاً بأول بوساطة تيار من الهواء فاذا شب حريق هرع اليه الناس بمسحوق الطلق ولا سبيل الى استعمال الرمل لانه يتلف الآلة أو الى استعمال الماء لانه يساعد على انتشار المسحوق المحترق ( وهذا هو السبب في عدم استعمال خراطيم المياه في اطفاء القنابل الحارقة )

\*\*\*

أما عند ما تشرق شمس السلام مرة أخرى على هذا العالم فان استعماله سيغطي حتى ان بعض العامة يقولون أنه سينافس الحديد منافسة كبيرة . فمن الرطل منه الآن لا يزيد عن خمسة قروش وسيقل هذا الثمن كثيراً فيما بعد . وحيثما أراد المهندس صلابة الحديد وخفة الخشب فسيجد في المغنيسيوم خير معين .



# حرف الجيم

لعبد الله أمين

أيشرب صوت الشين كاللهجة السورية  
أولا يشرب صوتها كاللهجة المصرية

١ — من الناس من يقترب بالجيم حين النطق بها من مخرج الكاف ويشربها صوتها فلا تكون جيمًا خالصة ولا كافًا خالصة بل تكون حرفًا ثالثًا وسطًا بينهما مزيجًا منهما معًا فيقال في نحو جزر . جرس . جبل . ج . كزر . ج كرس . ج كبل . ج كهل . بمزج الجيم بالكاف فتصير كالـكاف الفارسية المغلظة ويقول بعض الأئمة المتقدمين أنها لغة شائعة — في عصرهم — في أهل البحرين وعوام أهل بغداد — وهي لهجة لعوام القاهرة الأصليين في نحو قولهم « يا جدع »

٢ — ومن الناس من يقترب بها حين النطق بها من مخرج الشين ويشربها صوتها فلا تكون جيمًا خالصة ولا شينًا خالصة بل تكون حرفًا ثالثًا وسطًا بينهما مزيجًا منهما معًا فيقال في نحو جزر . جرس . جبل . جبل . ج شزر . ج شرس . ج شبل . ج شمل . بمزج الجيم بالشين وهي لغة شائعة في سوريا وبين عوام الاسكندرية الأصليين

٣ — ومن الناس من ينطق بها من مخرجها فلا يقترب بها من مخرج الكاف ولا من مخرج الشين ولا يشربها شيئًا من صوت إحداهما كما ينطق بها كثير من أهل مصر السفلى وبعض أهل القاهرة<sup>(١)</sup>

(١) أ — الكاف والجيم والشين ثلاثة مخارج وثلاثتها بين مخرجي القاف والياء وخمسها متتابعة على النحو الآتي القاف فالكاف فالجيم فالشين فالياء وإذا سكنت كلا منها وجئت قبله بهمزة وصل هكذا آق . آك . آج . آش . آي . ونطقت بها ظهرت لك مخارجها بهذا التتابع وظهرت بينها مسافات فالقاف ثم الكاف يخرجان من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى وبينهما الالهة ويسميان لذلك لهوين . والجيم فالشين فالياء يخرج من وسط اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى ومخرجها يسمى الشجر وتسمى هي حروفًا شجرية والجيم في أول الشجر من ناحية فتحة الفم الخلفية وهي قريبة من مخرج الكاف والياء في آخر الشجر من ناحية فتحة الفم الامامية وبينهما الشين

ب — اوضاع أعضاء النطق في اللهجات الثلاث هي (١) انك حين تقترب بالجيم في نحو جاء من مخرج



أما النطق بها كافاً خالصةً كأن يقال في جزر . جرس . جبل . حمل . كزر . كرس . كبل . كل . أو شيئاً خالصةً كأن يقال في أربعيتها شزر . شرس . شبل . شمل . بدون مزجها بالكاف ولا بالشين فهذا يعدُّ ابدالاً لغوياً إذا ورد ولا يدخل في هذا البحث بأية حال فأَيُّ هؤلاء اللهجات الثلاث الصحيح الفصحى الوارد في اللغة العربية الفصحى وعلى ألسنة العرب الخلدص التي يجب التزامها وأَيُّها التي لم ترد في اللغة الفصحى ولا على ألسنة الفصحاء ويجب اجتنابها ؟

\*\*\*

والجواب الذي لا شك فيه وقد أبدته النصوص والسمع هو أنَّ اللهجة الصحيحة الفصحى التي يجب التزامها وهجر ما عداها هي المذكورة في الفقرة الثالثة أما اللهجتان المذكورتان في الفقرتين الأولى والثانية فليستا من اللغة الفصحى في شيء والتي تعني من هاتين اللهجتين هي اللهجة الثانية وهي اشراب الجيم صوت الشين ومن أجلها كتبت هذا المقال لأن كثيراً من الأدباء والقراء الذين لم يتلقوا القرآن الكريم عن الحفاظ الجودين الثقات ينتصرون لها ويدعون إليها في قراءة الفصحى من الكلام وفي قراءة أفصحها وهو القرآن العزيز ولا يعنيني البحثُ عمَّن أخذ العرب هذه اللهجة أخذوها عن الفرس أم عن الترك أم عن غيرها ولا عن الوقت الذي أخذوها فيه أهو قبل الاسلام أم بعد ظهوره وانتشاره واختلاط العجم بالعرب وإنما الذي يعنيني كل العناية هو اثبات أنها لهجة مستهجنة مستقبحة لا تجوز القراءة بها في كلام فصحى

الكاف وتمزجها بها وتشر بها صوتها تضغط بسطح اللسان بالقرب من فتحة الفم الخلفية على ما فوقه من الحنك الأعلى وتطلق لسانك في فك بدون أن تمس شيئاً فيه مع فتح الفم كثيراً (٢) وحين تقترب بها من مخرج الشين وتمزجها بها وتشر بها صوتها تضغط بسطح اللسان بالقرب من طرفه على ما فوقه من الحنك الأعلى وتباعد بين فكك وبين شفتيك قليلاً (٣) وحين تنطق بها من مخرجها الأصلي تضغط بسطح وسط اللسان على ما فوقه من الحنك الأعلى وتقارب بين فكك وبين شفتيك قليلاً

ج — الاستدلال باللهجة أهل إقليم أو أهل بلد على نطق معين بحرف الجيم أمر غير ممكن لاختلاط الناس واختلاف اللهجات وتدخل بعضها في بعض غير أن اللهجة الثانية أشيع في سوريا واللهجتين الأولى والثالثة أشيع في البلاد المصرية . وقد ذكرت ما ذكرت على وجه التقريب لا التحقيق وستعرف في آخر هذا المقال أي فريق يتخذ قدوة للنطق الصحيح بحرف الجيم ويمثله أصدق تمثيل

د — كان الأفضل لتمثيل مزج الجيم بالكاف أو مزجها بالشين في الكتابة أن يوضع أحد الحرفين فوق الآخر كما فعل الأقدمون في كتبهم المخطوطة . فلما لم يتيسر ذلك في حروف الطباعة اضطرت اضطراباً إلى كتابتهما متجاورين كما ترى على أن ينطقا معاً نطقاً واحداً متمزجاً

ه — أنصار لهجة : اشراب الجيم صوت الشين كاللهجة السورية : يسمونها تعطيشاً ويقولون عطش الجيم أي أشربها صوت الشين ولم أوفق للعثور على لفظ التعطيش في كتب اللغة ولا في كتب القراءات والتجويد



وقد كتبت طائفة ممتازة من العلماء المتأخرين منهم الصديق الجليل الأب أنستاس ماري الكرملي علامة العراق منذ خمس وأربعين سنة في هذا الحرف مقالات في الصفحات ١٨٧ وما بعدها من مجلد سنة ١٨٩٧ من مجلة البيان وهو المجلد الاول والاخير منها والصفحات ٢١٦ وما بعدها من مجلد سنة ١٨٩٧ من مجلة الهلال والصفحات ١١٦ وما بعدها والصفحات ٤٨٧ وما بعدها والصفحات ٨٣٧ وما بعدها من المجلد الاول لسنة ١٨٩٨ من مجلة المشرق وذكروا فيما ذكروا مصادر هذه اللهجات وأوقات نشوئها في العربية واستدلوا على ما قالوه بأدلة كثيرة وبرهنوا بما ذكروا وبما استدلوا على سعة اطلاع ورجاحة فكر غير أنهم أهملوا الرجوع الى نصوص كثيرة في هذا الموضوع لكبار أئمة العربية ولو أنهم رجعوا اليها لما كان من أقوالهم : ان الجيم كانت حلقة قبل الاسلام : لأن الجيم ما كانت ولن تكون حلقة وما قال بذلك أحد من أئمة العربية ولما استدلوا على أن الجيم صارت بعد ظهور الاسلام مُشْرِبةً صوت الشين كاللهجة السورية بقولهم : ان العلماء في أوائل الاسلام لما ضبطوا لفظها عيَّنوا مخرجها من الشجر كما يلفظها أهل الشام : لأن نسبة الجيم الى الشجر الذي تنسب اليه الشين ليس معناه أن تشرب الجيم صوت الشين كاللهجة السورية ولم يقل بذلك أحد من علماء العربية

وقد جعلت مقالي (١) هذا متمماً لأقوالهم فلم أذكر مما ذكره شيئاً على ما فيه من بحوث متعة وذكرت فيه ما فاتهم ذكره وهو صلب الموضوع ومُخَصُّهُ فأقول  
إن علماء العربية حينما دونوا علومها بحثوا فيما بحثوه من لغة العرب الحروف وقسموها الى حروف أصلية وهي حروف الهجاء التسعة والعشرون أو الثمانية والعشرون المعروفة التي أولها الهمزة وآخرها الياء والى حروف فرعية تتفرع من الحروف الأصلية المذكورة والحروف الفرعية المذكورة طائفتان

\*\*\*

الطائفة الأولى : ستة أحرف مستحسنة مستحجة يكثر ورودها على السنة الفصحاء وفي الكلام الفصيح وفي أفصحها غير منازع وهو القرآن الكريم والذي يعنيني منها هو الشين المُشْرِبة صوت الجيم وذلك اذا كانت ساكنة ووليها دال نحو أشدق فيقال أش جدق

(١) عرفت خطأ من يشرب الجيم صوت الشين منذ سنين طويلة مضت وأعددت عناصر مقال فيه ولم أكن أعرف ان أحداً فطن له وكتب فيه قبلي حتى أخبرني حضرة العلامة الجليل الأب أنستاس ماري الكرملي أنه هو وطائفة من الادباء الممتازين كتبوا فيه عدة مقالات فاطلعت على ما كتبوا ولخصته وزدت عليه ما جاء في مقالي هذا وهمت بنشره معه غير ان أزمة الورق حالت دون ذلك فاكثفت بتعيين مواضع المقالات ان شاء أن يرجع اليها



بمزج الشين بالجيم وإشراها صوتها وتكوين حرف ثالث لا هو شين خالصة ولا هو جيم خالصة بل حرف وسط بينهما مزيج منهما معاً

\*\*\*

والطائفة الثانية : ثمانية احرف مستقبحة مستكرهة لم ترد على ألسنة الفصحاء ولا في الكلام الفصيح ولا تجوز القراءة بها في القرآن العزيز والذي يعيننا منها الجيم المشربة صوت الكاف كالـكاف الفارسية المغلظة والجيم المشربة صوت الشين وذلك اذا كانت ساكنة ووليها دال أو تاء في نحو أجدر واجتمعوا فيقال فيهما أج شدر وأج شتمعوا بمزج الجيم بالشين وإشراها صوتها وتكوين حرف ثالث لا هو جيم خالصة ولا هو شين خالصة بل وسط بينهما مزيج منهما معاً. ومن هذا ترى أن إشراب الشين صوت الجيم من الحروف المستحسنة وعكسه وهو اشراب الجيم صوت الشين من الحروف المستقبحة

\*\*\*

ولا غرابة في أن يكون إشراب الشين في نحو أشدق صوت الجيم من الحروف المستحسنة وأن يكون إشراب الجيم في نحو أجدر واجتمعوا صوت الشين من الحروف المستقبحة لأن ذلك خاضع لقوانين صوتية وجيهة أسامها ضرورة التلاؤم بين الحرفين المتتالين فالجيم في نحو أجدر واجتمعوا ملأمة كل الملاءمة للدال والتاء التاليين لها لأن ثلاثتها مجهورة شديدة فاذا اشربت الجيم صوت الشين فقدت هذا التلاؤم لأن الشين مهموسة رخوة وهاتان صفتان ضدا صفتي الدال والتاء وهما الجهر والشدة لذلك استهجن واستكره اشراب الجيم صوت الشين لعدم التلاؤم بين الجيم المشربة صوت الشين وبين الدال والتاء والشين في نحو أشدق لا تلائم الدال التالية لها لما تقدم من أن الشين مهموسة رخوة والدال ضدها مجهورة شديدة لذلك استحسن واستحب اشراب الشين صوت الجيم لأن صوت الجيم وفيه الجهر والشدة يلائم صوت الدال وفيها مثله الجهر والشدة

\*\*\*

ومن ذلك تعرف أن الجيم لا تشرب صوت الشين إلا في موضع واحد وهو اذا كانت ساكنة ووليها دال أو تاء وأن هذا الاشراب مع قلته هذه مستهجن مستكره غير أن دعاة هذا الاشراب ( التعطيش ) يشربون الجيم صوت الشين في كل موضع ترد فيه بدون تفريق بين الجيم التي يليها دال أو تاء والتي لا يليها حرف منها مخالفين بذلك السماع والادلة القطعية واليك هذه الأدلة



## اقوال أئمة العربية في لفظ الجيم

قال إمام الأئمة سيبويه في باب « عدد الحروف العربية ومخارجها وصفاتها » من كتابه ما يأتي

« وقد تكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروفاً هنّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة الذكر يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي (١) النون الخفيفة أو الخفية (٢) والهمزة بين بين (٣) والألف التي تمال إمالة شديدة (٤) والشين التي كالجيم (٥) والصاد التي تكون كالزاي (٦) وألف التنخيم يعني بلغة إلحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة الذكر في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالشين والصاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والطاء التي كالتاء والباء التي كالفاء

وهذه الحروف التي تمها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبيّن إلا بالمشافهة . ج ٢ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ سيبويه

وقال الامام ابن مالك في كتابه « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » في النحو ما يأتي في باب مخارج الحروف : بعد أن ذكر مخارج الحروف الاصلية التسعة والعشرين « لهذه الحروف فروع تستحسن وهي الهمزة المسهلة والغنة ومخرجها الخيشوم وألفا الامالة والتنخيم والشين كالجيم والصاد كالزاي وفروع تستقبض وهي كاف كجيم وبالعكس وجيم كشين وصاد كسين وطاء كتناء وطاء كتناء وباء كفاء وضاد ضعيفة » ص ٨٣ طبع مكة سنة ١٩١٣ هـ

وقال إمام اللغة والادب جاز الله محمود بن عمر الزمخشري في كتابه المفصل في النحو عند الكلام على مخارج الحروف في باب « ومن أصناف المشترك الادغام » في آخر الكتاب ما يأتي : —

« ويرتقي عدد الحروف الى ثلاثة وأربعين فحروف العربية الأصول تلك التسعة والعشرون ويتفرّع منها ستة مأخوذ بها في القرآن الكريم وكل كلام فصيح وهي النون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو عنك وتسمى النون الخفية والخفيفة وألفا الامالة والتنخيم نحو عالم والصلاة والشين التي كالجيم نحو أشدق والصاد التي كالزاي نحو مصدر



والهمزة بَيْنَ بَيْنَ والبواقي حروف مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالنء والباء التي كالنء . ص ٣٩٤ المفصل طبع مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٣ هـ  
وقال نحر العلم والعلماء الامام ابن الحاجب في شافيته في الصرف بعد أن ذكر مخارج الحروف الأصلية ما يأتي :

« ومخرج المنفرد واضح والفصيح ثمانية همزة بَيْنَ بَيْنَ وهي ثلاثة والنون الخفيفة نحو عَنْكَ وألف الامالة ولام التفخيم والصاد كالزاي والشين كالجيم ، وأما الصاد كالسين والطاء كالنء والفاء كالباء والضاد الضعيفة والكاف كالجيم فمستهجنة . وأما الجيم كالكاف والجيم كالشين فلا يتحقق » ص ١٤٧ من الشافية طبع الهند

وقال امام اللغة والادب والصرف أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه سر الصناعة تحت عنوان « باب ذكر الحروف على مراتبها في الاطراد » ما يأتي :

« وهي الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والذال والناء والفاء والباء والميم والواو والذال والناء والفاء والباء والميم والواو

فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خلل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبته سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته

واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين وقد تلحقها ستة أخرى تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفاً . وهذه السنة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام وهي النون الخفيفة ويقال الخفيفة والهمزة المخففة وألف التفخيم وألف الامالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي

وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف وهي فروع غير مستحسنة لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مردولة غير مُستقبلة وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالنء والطاء التي كالنء والباء التي كالميم

ولا يصح أمر هذه الحروف الاربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين حتى كملتها ثلاثة وأربعين إلا بالسمع والمشافهة »

من أوائل نسخة خطية بدار الكتب غير مرقمة الصفحات وهي تحت رقم ١٢٠ لغة

« يتبع »



# قصة الاساطيل

الاسلامية

لمحمد عبد الغني حسن

وقع لي أخيراً كتاب في الانجليزية عنوانه « البحارة الانجليز في القرن السادس عشر لمؤلفه جيمس فرود أستاذ التاريخ بجامعة اكسفورد ( English Seamen in the sixteenth century ) By J. A. Froude : فذكرني بالاساطيل الاسلامية يوم أن كانت ترفرف عليها راية الاسلام فتمخر العباب وتعلو الاثباج لنشر تجارة أو لغزو في سبيل الله أو لفتح بلاد جديدة .

وبالطبع لم تحملني الذكريات البعيدة السعيدة على عقد موازنة أو عمل مقارنة ولكنها حملتني على أن أرجع الى أسفار التاريخ الاسلامي وأمهات كتبه أستخرج منها الاحداث وانتزع منها الوقائع البحرية الاسلامية فأصادفها أممي كثيرة وأجدها في سهولة ويسر فلا أتكلف لها عناء في البحث أو تنقيها في بطون الكتب . ولكني أجدها واضحة المعالم مرفوعة الاعلام فأود أن أعرضها على القراء لعلها تذكرهم بمجد درس ولكن الآمال معقودة على عودته ، وماضٍ ذهب ولكن النفوس متطلعة الى رجعته

\*\*\*

وقصة الاساطيل الاسلامية قصة شائقة ممتعة يذكرها المؤرخون المسلمون على سبيل التدوين ، ويعرفها المنصفون من غير المسلمين فيسجلونها فيما يسجلون من مفاخر العرب . وينظر اليها بعض ذوي الاغراض منهم بالنظر الشرر ، فيقربون حاجباً من حاجب ويحاولون انكار فضلها وهو باد لكل عين بصيرة

والمنصفون من الغربيين كثيرون بحمد الله لأنهم ينشدون الحق ويبتغون وجه العلم فلا تعميمهم غاية ، ولا يطمس على قلوبهم تحيز ، ولا يختم على سمعهم ولا على أبصارهم هوى جائر وغرض مائل

وقد كان جحود الغرب للشرق وانكار بعض المتعصبين منه فضائله راجعاً الى عوامل



دينية وأخرى سياسية . ولا شك ان الحروب كانت أهم أسباب الجفوة واتساع الشقة . ولكن النهضة الاوربية قللت من هذا الجفاء البغيض فقد استقامت على نفسها بحضارة العرب . ولهذا لم يجد المنصفون من الوفاء لها أن يرموها أو يغيضوا من شأنها . الا أن نقرأ منهم ظل التعصب يأكل قلوبهم والغرض يعمي عيونهم ، فلم يستطيعوا أن ينكروا مدنية الاسلام جملة لانهم لا يقدرّون على ذلك ، ولكنهم هونوا من أمرها ، ونقصوا من قدرها ، ورموها بأنها مدنية أولية وحضارة بدائية . وظهر ذلك فيما كتبوا وألقوا . ومن المؤسف ان يكون جون كارنوك من هؤلاء المغرضين الذين رموا الحضارة الاسلامية بالجهل بأساليب الملاحه وطرق البحار وفن الاساطيل

الا انه مما يمسر العربي أن يجد أسماء كثيرة أنصفت العرب وعرضت حضارتهم أحسن عرض وقدرتها أجل تقدير

ومن هؤلاء سيديو المؤرخ وجوستاف لوبون وأرنست باكر وجب ومرجوليوت ولاينبول ولاين وأرنولد وبريجز

ولقد كان جوستاف لوبون منصفاً الأنصاف كله وصريحاً الصراحة كلها حينما ذكر في كتابه حضارة العرب « أن بعض مفكري اوربا يجدون من الغضاضة بل من الدل أن يعترفوا بان اوربا المسيحية مدينة للعرب بخروجها من ظلمات الجهل »

\*\*\*

وكلمة اسطول ليست عربية الأصل ولكنها يونانية معربة ، ولا نعرف بالضبط الوقت الذي استعملت فيه تلك اللفظة ، ولا أول من استعملها ولكنها على كل حال لم تكن زمن الخلفاء الراشدين الذي استعملت فيه كلمة مراكب التي تساوي بالضبط كلمة أسطول . ويظهر أن اللفظة اليونانية دخلت العربية بعد اتصال العرب بالروم واستعملت في كتب المؤرخين المسلمين . وزاد استعمالها عند المتأخرين منهم . والمقريري يذكرها في مواضع كثيرة من كتابه

وعلى الرغم من ضخامة هذه الكلمة فقد استعملت في الشعر وخاصة عند ابن هاني ، الأندلسي شاعر المعز لدين الله الفاطمي وواصف أساطيله كما استعملها الشاعر الايادي

ومن العجب ان عمر بن الخطاب الفاتح العظيم لم يحب ركوب البحر ولم يشجع عليه بل على الضد من ذلك صرف المسلمين عنه . وكتابه الى معاوية يؤيد هذا ، فقد أقسم بالله الذي بعث محمداً بالحق لا يحمل فيه مساماً أبداً . وذلك حينما اقترح معاوية وألح في الاقتراح على عمر بركوب البحر وغزو الروم في حصص



وعجيب جداً أن يكون هذا موقف عمر من البحر وهو الذي دوخ البلاد فتحاً وغزواً .  
ولعله أراد أن يركز قوة المسلمين في البر حتى يتهيأ لهم مع الزمن ركوب البحر  
ويعد الخليفة عثمان بن عفان أول حاكم مسلم أنشئت في عهده صناعة الاساطيل العربية .  
والفضل في ذلك للمعاوية بن أبي سفيان الذي لم ينش عن المطالبة بركوب البحر ، والذي يعد  
أول خائض غمرات البحار . وهنا نذكر اسم عبد الله بن قيس الفزاري الذي استعمل أميراً  
على البحر ، فغزا أكثر من خمسين غزوة ما بين شامية وصائفة

\*\*\*

لم يكن للعرب أسطول قبل عهد عثمان ، فكيف أتيج لهم أن يذرعوا بحر الروم بهذه  
السرعة الفائقة ؟ ومن أين لهم بصناعة الاساطيل ولم يكن لهم بها سابقة عهد . وليس في العالم  
حينئذ مصانع كبرى تمد الدول بحاجتها من السفن كما تفعل المصانع اليوم . وليس من المعقول  
أن يدمر الروم بالسفن ولو بحجة استعمالها في التجارة . لأن العداء بين الاثنين مستحكم ،  
وبلاد الروم تنهار بلداً أثر بلد . والمسلمون يمعنون فيهم الغارة ؟  
والجواب عن ذلك سهل بسيط . فالارادة القوية لا تقف دونها أهوال . وقد انعقدت  
ارادة المسلمين بالبحر ليجدوا فيه متسعاً للغزو ومضرباً للجوب . فكيف يمنعهم من ذلك  
حدائنه عهدهم بالصناعة ، وعدم رسوخ قدمهم في الملاحة ؟

\*\*\*

وهنا تتجلى العبقرية العربية ، فتستحيل الاسكندرية الى دار عظيمة لصناعة السفن .  
ويستخدم فيها العمال المصريون ممن حذقوا الصنعة على أيدي الروم . وتأخذ السفن العربية  
أشكالها من سفن الروم التي استولى عليها عمرو بن العاص في واقعة الاسكندرية . وتحيد  
الأيدي العربية القلقلطة وربط الألواح وإحكام الدر وأقامة الدقل وإمالة الشراع وهي  
التي كانت بالامس القريب تنصب الخيام وتقيم الاوتاد وتضرب القباب وتشد الرحال وتحزم  
الأكوار وتحذو المطايا وقد سالت الأباطح بأعناقها

وهذا الانتقال السريع من حال الى حال هو موضع الإعجاب بأجدادنا العرب ، فانهم لم  
يقبعوا في الصحراء ، ولم ينطخوا على انفسهم في رمال الجزيرة ولم يقولوا : ارادتنا الطبيعة ان  
نكون اهل الحدا في مضارب البیداء بل قالوا نريد أن نكون اهل اللواء في غمرات الماء فكان  
لهم ما أرادوا



ولعلك تتصور الاسكندرية معي حينذاك وقد علا فيها طرق الازاميل وقرع المطارق وصوت المناشير ودق المسامير .... وفي لحظة وجيزة من الزمن تخرج مصانع الاسكندرية مائتي سفينة وتنزل الى البحر لاول عهدا به ، وعليها عبدالله بن ابي المرح اميراً ، ثم يخرج بها في غزوة اخرى فيلاقي الروم في الف مركب ، فأبلى المسمون بلاءً حسناً . واذا هم في البحر كما هم في البر : شدة بأس وقوة مراس وصبراً على المكاره . واذا النصر يلازمهم في أول معركة بحرية وهي المعروفة بوقعة « ذات الصواري » التي سميت بذلك لكثرة اجتماع المراكب فيها وعليها صواريخها المرفوعة

ويزداد شعور المسلمين بحاجتهم الى المراكب في عهد بني امية ، وينشأ منهم جيل تفرس بالبحار ومرن على ركوبها . فيبعث عبد الملك بن مروان الى طامله على أفريقية حسان بن النعمان يأمره بإنشاء دار لصناعة الاساطيل في تونس على غرار ما حدث في مصر ثم يأتي عبيد الله بن الحبحاب واليا على افريقية سنة ١١٤ هـ فيوسع دار الصناعة التي أنشأها حسان بتونس ويغزو صقلية سنة ١٢٢ هـ

\*\*\*

ويظهر أن صناعة الاساطيل الاسلامية استقرت على شاطئ افريقية الشمالية مدة ازدهار الحضارة العربية ولم يهتم خلفاء بني العباس بهذه الصناعة إلا حين نزل الروم دمياط من الديار المصرية ، فقد كان المتوكل خليفة ، وعنبسة بن اسحق والياً على مصر . وكان الروم واقفين للعرب بالرصاد . فانهزوا يوم الوقوف بعرفات سنة ٢٣٨ هـ وغزوا دمياط وقتلوا ومبوا من المسلمين . ووصلوا الى تنيس . فاهتم المتوكل العباسي بصناعة الاساطيل التي كانت قد أصابها الركود زمناً

ويعد هذا أول انتعاش للبحرية العربية . فقد وضعت قوانين للبحارة ، ورتبت لهم الارزاق ، وانتخب لهم القواد العارفون بالحاربة ، ولم تعد البحرية الاسلامية ميداناً لكل نازل وحرقة لكل محترف . ولكنها صارت فناً يختار له المتمرسون من أهل الدربة ، ويتنحى عنه الجهلاء الجبناء

وتهاقت الشبان على الاشتراك في البحرية وسعوا اليها بكل الوسائل حتى يكونوا من رجالها فقد كان من الشرف الأسمى أن ينتسب المرء الى الاسطول الذي كان لرجاله مكانة وحرمة وكانت الاسكندرية وتونس قاعدتين مهمتين من قواعد الاسطول الاسلامي . تخرج منهما السفن للغزو ، وتوقع بملوك الافرنج وتنخن في ممالكهم كما يقول ابن خلدون



ولا ينسى فضل الاسكندرية في وقعة ذات الصواري سنة ٣٥ هـ ، ولا في رد الروم عن دمياط سنة ٢٣٨ هـ . كما لا ينسى فضل تونس في غزو صقلية . فمنها كانت تخرج السفن من حين الى حين الى ان استقر فيها المسلمون سنة ٢١٢ هـ على يد أسد بن الفرات مؤمداً من قبل زيادة الله بن الأغلب

ويروي القرظي في خطه ان أساطيل الاسلام كانت كثيرة المهجوم على بلاد العدو . فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن أفريقية ، وتلك اشارة على ايجازها تدل على فضل الشام في الغزو البحري . فقد كانت « صور » هي الثغر الحربي الاسلامي المواجه لبيزنطة . ويذكر اليعقوبي في جغرافيته ( ان بها داراً للصناعة ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم ، وكانت حصينة جليلة )

وليس من شك في أن الاسطول الشامي في القرن الرابع الهجري كان يفوق الاسطول الفاطمي في شمالي أفريقية ويزيد عليه في الكفاية والعدد . وعلى الرغم من أن الاسطول الفاطمي غزا جنوبي فرنسا ومدينة جنوة وبيزا ، فان الاسطول الشامي استطاع هزيمة الاسطول المصري في مستهل القرن الذي نحن بصدد الحديث عنه . فانهمز ثمانون سفينة فاطمية أمام خمس وعشرين سفينة شامية في سنة ٣٠١ هـ

\*\*\*

ولم يقل اهتمام المتوكل بالأسطول المصري والبحرية المصرية عن اهتمام أبيه المعتصم بالأسطول الشامي . فللمعتصم فضل تحصين انطاكية التي كانت أهم ثغر تجاري في الشام . وله فضل الاهتمام بميناء طرابلس الشام كما يذكر ذلك ابن خرداذبة

وعلى كل حال لا ينسى فضل الفاطميين على الاسطول المصري وعنايتهم به . فلقد واصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر والاسكندرية ودمياط وسيروها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان . وأكثروا من بناء دور لصناعة الاساطيل

وكانت الاساطيل الاسلامية كغيرها من الاساطيل الغربية حينذاك تسير بالشرع والمجاديف ولا يدخل القولاذ في بنائها . فمن أين لهم بالخشب اللازم لهياكل السفن وصواربها

لقد كانت البندقية تمد العرب به ولكن الامبراطور الروماني احتج على دوق البندقية فتوقف البنادقة عن بيع الخشب للعرب ، الا الاخشاب التي لا تصلح لبناء السفن وقد أثرت تلك الحركة في الانتاج البحري عند المسلمين ، وزاد الطين بلة ذلك الحريق



الهائل الذي وقع في اسطول الفاطميين في زمن العزيز الفاطمي واعترف صناع الروم بأنهم هم الذين أحدثوه.

وحدثت أزمة في صناعة الاساطيل ظهر أثرها فيما صنعته الوزير عيسى بن نسطورس في مصر من خشب السقائف ودور الحكومة لأعداد أسطول آخر

\*\*\*

ولقد فطن صلاح الدين الايوبي الى أهمية الغابات والحراج في صناعة الاساطيل فراقبها مراقبة دقيقة وعين الحراس عليها حتى لا يستعمل الناس خشبها في خاص شؤونهم . واستنبت نوعاً من شجر السنط قوم العود منه بمائة دينار . والحق أن الاسطول الاسلامي بلغ في عهد صلاح الدين شأنًا عظيمًا . وهي منزلة كان المسلمون في حاجة ملحة اليها لاستيلاء الصليبيين على اكثر السواحل الشامية . وفي ذلك العصر بلغت السفن حدًا عظيمًا من ضخامة الهيكل وارتفاع الجدر

ويذكر المؤرخ الانكليزي جون كارنوك أن قلب الأسد ملك انكترا لما استولى على قبرص وغادرها الى الشام في مائتي سفينة لاقى في طريقه سفينة ضخمة للمسلمين تحمل ألفاً وخمسمائة بحار . وهو عدد لم يشهد الفرنجة مثله في زمانهم . وهذه الرواية تدل على مبلغ ما وصلت اليه صناعة الاساطيل الاسلامية من تقدم

وبعد عصر صلاح الدين قلت العناية بالأسطول الى أن جاء الملك الظاهر في منتصف القرن السابع فأعاد العناية بصناعة السفن . وكان يشرف عليها بنفسه ويرى بنفسه ما تحتاج اليه من ضروب الاصلاح . ولكن سمعة الاساطيل الاسلامية في عصره لم تبلغ ما كانت عليه في عصور التوسع والفتح . وكانت اساليب المسلمين في وقائعهم البحرية كثيرة الشبه بما يحدث الآن في عرض البحار مع ملاحظة الفرق في الصناعة والمرعة والاختراع والتقدم العلمي . فقد عرف العرب وسائل التعمية على العدو وتضليله بالألوان والشارات والملابس وغيرها . وزى ابن حسون المصري يغزو قبرص في القرن السابع فيرفع على مراكبه الصليبان حتى يظنها المسيحيون من سفنهم فتدخل الحيلة عليهم

وفي الحروب الصليبية نجد قائدًا بحريًا عربيًا يقود سفينة عليها ٧٠٠ مقاتل ويستमित في القتال حتى اذا لم يبق في النجاح أمل وعلم أنه مأخوذ لا محالة هو ورجاله أحدث في السفينة خرقاً وآثر أن يذهب هو وسفينته ورجاله وسلاحه الى أعماق اليم وأغوار البحر على أن يقعوا فريسة في يد الأعداء .



# ظاهرة التلبي

وما يتبعها من ظواهر

- ٣ -

لاحمد فهمي أبو الخير

## ظاهرة التلبي والروح

مرّ بنا في الامثلة التي ضربناها أن ثمة ظواهر أخرى تقرن بظاهرة التلبي لهذا يتحتم فحص هذه الظواهر مجتمعة فقد نصل الى ما يستجلي حقيقة هذه القوى النفسية الخفية . فأولاً وقبل كل شيء نحن نعلم أن الجسم الميت لا يستطيع أن يرى ولا أن يسمع أو يلمس أو يشم أو يذوق . فهو لا يحس ولا يشعر ، وصدق من قال « ما للجرح بميت إيلام » .

فلماذا فقد هذا الجسم الميت الحس والشعور ؟ لقد فقدته لأن الجسد قد فقد الروح . فالروح اذاً هي المسؤولة عن كل هذا . ولكي نشعر بالتأثيرات الخارجية كان من الضروري على الروح أن تكون في حالة تستطيع فيها التلقي أو الاستقبال . وقد ينغمز الواحد منا في التفكير فلا يسمع الصباح حتى ولو كان الصباح في أذنه . ويقول الرواة ان الشهداء يقعون عند استشهادهم في حالة انغمار للوعي فلا يستشعرون ألماً . وعند ما يولد الطفل تكون له هذه الحواس كلها ، ولكنه لا يعي كيف يستخدمها رغم انه رزق القدرة على استخدامها . فهذه القوى موجودة وهي التي يسميها الدكتور رو « القوى الاولوية للنفس » وهي لا تمارس إلا اذا وجد منه خارجي يثيرها . مثال ذلك ان السلع المرئية لا بدّ أن تعكس أو تبعث ضوءاً ولو نأ لـ كي تمكّن هذه القوى النفسية الاولوية من ادراكها ، فتستطيع من ثمّ أن تدرك العالم الخارجي . ويحدث هذا المنبه تغيرات في عضو الحس الذي يقود الاحساس أو الرسالة الى مراكز الدماغ حيث يتحول على الفور الى حالة تدركها هذه القوى الاولوية للنفس . فالنفس ، والنفس وحدها ، هي التي تمكّننا من ادراك الأشياء . وعضو الحس بالاشتراك مع مركز الحس في قشرة الدماغ هو الوسيط بين الشيء الخارجي أو المنبه وبين الـ « أنا » أو



النفس ، وبعبارة أخرى هو حلقة الاتصال بين الشيء الخارجي وأنفسنا . ولا نمنى ان من هذه القوى البدائية الأولية يتكوّن جوهر الوجود الذي تتألف منه النفس عند الولادة . من هذه القوى تتكون المادة الروحية التي تنكشف منها بالتدرّج كل الصيغ العقلية ويجب أن لا يغرب عن البال أن أعضاء الحس ، برغم أهميتها باعتبارها حلقة الاتصال بين العالم الخارجي وبين النفس ، ليست ضرورية لها لأن النفس تستطيع أن تتلقى المنبه خلال قواها الأولية مستقلة تماماً عن أعضاء الحس . نعم تستطيع هذا ولكن بتوافر ميزات خاصة . وهذه الميزات نادرة ، ما في ذلك شك ، ولكنها موجودة فعلاً ، وقد حققها كثيرون من البعث ، مثبتين أنه قد يكون « عقل ولا مخ ، وحس ولا أعضاء للحس »

\*\*\*

نما مضى يتضح أن هناك روحاً أو نفساً ، سبها ما شئت ، تستطيع أن تعمل مستقلة عن الحسد وأعضاء حسه وعن المخ ، وقد يكون المخ وأعضاء الحس والمنبهات الخارجية شروطاً لازمة لادراك العالم الخارجي المحيط بنا ، ولكنها ليست سبب هذا الادراك وليست مصدره

\*\*\*

ولقد برهنت ظاهرة التلبي على أن خفايا عقولنا عرضة للغزو ، ودلت على أن من الضلال الظن بأننا ننسج أفكارنا في مصانع المخ المحلية ، واننا نخزنها فيها ما طاب لنا الخزن . والظاهر اننا نوجد في « جو عقلي تام » وأن عقولنا تعمل في هذا الجو كأنها محطات استقبال تستقبل الالهامات الروحية ، يدلّك على ذلك خطور فكرة واحدة بعقول متفرقة في وقت واحد . ولقد تعدّد حدوث هذا التوارد في الخواطر في وقت واحد ، حتى ليصبح اعتبار أنفسنا في اتصال دائم بالتلبي مع اخواننا وزملائنا (الموجودين في عالم المادة على الأقل) دون وعي منا بهذا الاتصال

على أننا قبل أن ننسب هذه الظواهر الى وجود الروح زرد ما قاله العلامة الأستاذ هنري أرمسترونج في تعقيبه على كتاب المسألة The Question لمؤلفه مستر كلود فقد قال « يخشى بعد هذا أن يكون الكثير جداً من العلم الحديث مجرد تمويه حتى حين يكون هذا الكثير صحيحاً سليماً من الناحية التجريبية ، وغالباً يكون التأويل مخطئاً يميل كثيراً مع الغرض والهوى وذلك لأن كثيرين جداً يلعبون بالعلم مع أنهم ليسوا علميين ولا يمكن أن يكونوا علميين . الواقع ان العلم تغشاه سحابة كفسية »



## التلبثي وطرح الروح

وفيا يلي خلاصة وصف تجربة علمية أجريت على الوسيطة الشهيرة والكاتبة القديرة مسز ايلين جارت وقد أجريت هذه التجربة سنة ١٩٣١ تحت اشراف جمعية البحوث النفسية الاميركية على ظاهرة « التلبثي عن بعد » وذكرت مسز جارت في كتابها النفيس « حياتي كاستقصاء لمعنى الوساطة » الصادر سنة ١٩٤١ وقد ذكر هذه التجربة العلامة باترزي في كتابه « الانسان خارج جسده » الصادر في ربيع سنة ١٩٤٣ . والذي حدث في هذه التجربة هو أنه طلب الى مسز جارت وهي جالسة في حجرة في نيويورك أن تتصل بطبيب شهير من أعضاء جمعية البحوث النفسية الاميركية مقيم في نيو فوندلاند التي تبعد عن نيويورك مئات من الاميال والتي لم تكن مسز جارت قد زارها قط من قبل ، وأن تدلي الى البعثة المختبرين الموجودين معها في نفس الحجرة بنمو يورك — كل ما يحدث لذلك الطبيب وما يصدر عنه ، وبكل ما ترى وما تسمع ، والى قرائي ما ذكرته في كتابها . قالت :

« أعرف في قرارة نفسي أنني لكي أجري التجربة بنجاح لا بد لي من طرح روحي طرحاً واعياً حتى أصل الى هدي الذي أتوقع الوصول اليه في نيو فوندلاند » ثم مضت تشرح طريقة الطرح وميكانيكا عملياته مما سترجى ذكره الى ما بعد وصفها ما تم لها مع ذلك الطبيب الذي طرحت روحها اليه ، والذي آثرت ألا تذكر اسمه قالت :

« لما طرحت روحي قاصدة نيو فوندلاند حيث يوجد المكان المتفق على اجراء التجربة فيه رأيتني في الحظي هناك ، ولكني قبل أن أدخل المنزل استطعت أن أرى الحديقة والبحر كما استطعت أن أرى المنزل المفروض أنني سأزوره . وشعرت فعلاً برطوبة الجو ، ورأيت الزهور نامية على جانبي الطريق . ثم مررت خلال الجدران واذا بي أجديني في داخل الحجرة التي ستم فيها التجربة ، ولكني لم أجد أحداً هناك ، فاتجهت بنظري نحو السلم باحثة عن ذلك المختبر الذي اخبرت بأنه سيكون بانتظاري . ووجدت أنني اذا صعدت على السلم للبحث عنه فلن يكون معنى هذا إلا اضافة مجهود الى ما بذلت غير أنني لحسن الحظ رأيتُهُ آتياً هابطاً من السلم في تلك اللحظة ، ثم دخل الحجرة التي عرفت أنها اختيرت مقرراً لاجراء التجربة

ولم يتضمن ما تم من الاحداث حتى ذلك الوقت ظاهرة التلبثي فحسب بل تضمن كذلك سلسلة كاملة من مظاهر الحس غير العادي جمعت بين الجلاء البصري والجلاء السمعي والتنبؤ بما سيكون

وكان ذلك الطبيب الموكل اليه اجراء التجربة ذا قوى حس غير عادية ، فقد بدا عليه



أنه أدرك وجودي وشعر بأن التجربة قد بدأت . وسيتضح بما سأرويهِ أن كلاً منا كان يدرك وجود الآخر

« قال بصوت مرتفع : « ستكون تجربة ناجحة » . وقد استطعت وأنا جالسة في تلك الحجرة ، بنيويورك أن ألتقي هذا الكلام وكأنه يخرق سمعي الفيزيقي . وخطب ذلك المختبر في نيوفوندلاند روعي المطروحة الى حجرة مكتبه وكأنه يحدثني قال : « انظري الى ما هو موجود فوق المكتب » وصدعت بأمره وانقدت له منذ تلك اللحظة واستجبت لقوله كما يستجيب الشخص المنوم مغنطيسياً للإيحاء . واستطعت أن أرى الاشياء الموضوعة فوق المكتب لا بالرؤية العادية ولكن بالجلاء البصري . وعندئذٍ أدليت بوصف ما رأيته الى الشخص الموكل بتدوين ما أقوله في نيويورك وسمعت الطبيب يقول : « قلمي اعتذاري للقائمين بالتجربة في الطرف الآخر هناك ، فلقد وقع لي حادث ولم أستطع العمل كما كنت أرجو وآمل » ونقلت ما كنت أسمعه في نيوفوندلاند الى الكاتب في نيويورك بعين الالفاظ التي وجهت إليّ ، ووصفت كذلك الضمادة التي فوق رأس الدكتور . وما كدت انتهي من ذلك حتى قال لي المشرف على التجربة في نيويورك المنتحي جانباً : « لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً لأنني تسامت منه خطاباً منذ بضعة أيام ، وكان الدكتور إذ ذاك في صحة تامة »

« وتابعنا التجربة وبقيت في حالة الطرح الروحي ، وتبعت نشاط المختبر المقيم في نيوفوندلاند فكان الشيء الذي صدر عنه بعد ذلك هو اتجاهه متمهلاً صوب خزانة الكتب وعرفت قبل أن يصل اليه الكتاب الذي كان يفكر فيه ، بل عرفت كذلك موضعه بين الكتب . وذاك هو التلبي البحث . وتناول الكتاب بيده قاصداً أن يتمكن من قراءة اسمه وأنا حاضرة عنده ، ثم فتحه وقرأ في صمت فقرة منه . وكان ذلك الكتاب عن اينشتين وآرائه في النسبية ولما انتهى من قراءته في صمت الفقرة التي اختارها استطعت أن ألتقي من عقله الانطباعات التلبيهية لما قرأ . وقد أملت على كاتب الجلسة في نيويورك معنى ما قرأ بكلمات من عندي . وأخبرني ذلك الطبيب في الوقت عينه بصوت مرتفع وأنا في حالة الطرح الروحي انه خلال اجراء تلك التجربة قد طرح روجه هو أيضاً الى حجرة النوم في نيويورك الخاصة بزميله طبيب العقول المشترك معه في اجراء التجربة . وجعل يصف الصورتين الفوتوغرافيتين اللتين كان رآهما هناك فعلاً عند زيارته السابقة الفيزيقية لنيويورك ، ولكنه قال عندئذٍ وهو في نيوفوندلاند ان تينك الصورتين قد نزعنا من مكانهما ، وان حجرة نوم صديقه قد أعيد طلاؤها بعد زيارته الفيزيقية



« وانتهت التجربة عند ذلك . وقال الكاتب عند الانتهاء ان التجربة كلها قد استغرقت خمس عشرة دقيقة . فلو كانت هذه التجربة قد اقتصر على ظاهرة التلبي وحدها ما استطعت قط أن اتصل بالمجرب المختبر ، ولا أن أراه هو أو الناحية التي يقيم فيها أو الحجر التي وجد فيها ، ولا أن أمضي في التجربة .

« وكل ما كان يمكن أن يحدث نتيجة للتلبي البحث هو نقل الافكار التي جالت في خاطر المجرب المختبر وانطباعات الكلمات التي خاطبني بها بصوت عالٍ .  
« وما يزيد في غرابة هذه التجربة ويجعلها فذة غير عادية هو أن طبيب نيوفوندا لاند ذلك قد وهب القدرة على طرحه روحه وأنه لذلك استطاع أن يتلقى الانطباعات الخفية بطريق الجلاء البصري والتلبي عن المكان المختار في نيويورك بينما كنت أنا أيضاً طارحة روعي لأصنع في منزله في نيوفوندا لاند مثل الذي صنعه هو في نيويورك

« وأرسل بالبريد في تلك الليلة عينها بيان التجربة التي أجريت في نيويورك الى ذلك الطبيب المقيم في نيوفوندا لاند . وفي الصباح التالي وردت برقية منه يصف فيها الحادث الذي وقع له قبل البدء بإجراء التجربة ، وورد منه بعد ذلك بيوم خطاب ذكر فيه خطوات التجربة كما وصفتها أنا .

« ولم تبرهن البرقية فقط على اني سمعت رسالته ووعيتها تماماً حين خاطب روعي المطروحة عنده بل برهنت كذلك على اني رأيت فعلاً رأسه المربوط بالضمادة . ويذكر قرائي قولي انه افتتح التجربة بالتنبؤ بنجاحها ، وقد تحققت النبوءة برمتها . وإذا أكون قد نجحت بالتلبي في تلقي هذه النبوءة وارسلها ، وفي هذه الحالة يكون التنبؤ والتلبي قد حدثا في آن واحد . وعرفنا من خطابه أنه استخدم مكتبه وأنه وضع فوقه مجموعه أشياء هي التي رأيتها تماماً بالجلاء البصري ، وصدقت كذلك في وصف كل خطوة سلكها هو . فالكتاب الذي تناوله ، وعنوانه وموضوعه ، والفقرة التي قرأها — كل هذا كان كما وصفته بعد ادراكي اياه خلال طرحي الواعي لروحي ، وتطبيقي ظاهري الجلاء البصري والتلبي . وما كان يمكن اجراء مثل هذه التجربة المعقدة من دون استعمال وسائل الادراك الاضافية هذه »

\*\*\*

والى هنا ينتهي وصف تلك التجربة الفذة ، ولكن يبقى بعد ذلك وصف أروع أجزائها ونعني به الجزء الخاص بميكانيكا عملية الطرح الروحي . قالت مسز جارت : « ان الذي لم يقبله



العلم في الجملة ، والذي أنا مع ذلك واثقة من صحته وصدقه ، هو ان لكل انسان مائلاً او مقابلاً من مادة أرق وألطف من جسمه الفيزيقي ، ويسمي بعض العلميين ذلك المقابل الجسم النجمي او الجسم الاثيري . وهذا بالطبع غير ذلك الواق المحيط بالجسم والذي يظل متصلاً به طيلة طرح ذلك المقابل وبوساطة ذلك المقابل يتم كل من الطرحين العرضي والواعي . ويلاحظ اني في التجارب التي نحن بصدها كنت أطرح ذلك المقابل طرْحاً واعياً . وأعرف من تجاربي اني حين أطرحه فان الطرح كان يتم من وسط صدري بين الشديين . وبمجرد ان أبدأ عملية الطرح أشعر في هذا الموضع من جسمي بجذب تصحبه رفرقة تسبب خفقاناً في القلب واسراعاً في التنفس ، كما يصحبه كذلك اختناق طفيف في الحنجرة ودوار في الرأس . وأظن أشعر بذلك في جسمي الفيزيقي طيلة مدة الطرح كلها

« وحين أكون في حالة الطرح هذه فان مقابلي يبدو كأنه قادر على استعمال النشاط العادي لكل حواسي الخمس التي تعمل في جسمي الفيزيقي . فمثلاً قد أكون جالسة في حجرة استقبال في يوم قارس البرد ومع ذلك فاني بالطرح أستطيع ان أصل الى مكان يكون صيفه في تلك اللحظة قارظ الحر . وعندئذ تستطيع حواسي الخمس كلها ان تشعر بالبحر وبالزهر ، فأغني من عبير الزهر وزهمة ماء البحر ، وأسمع الطيور تغني والموج يلطم الشاطئ . وقد يكون غريباً ان اقول انني ما نسيت قط أضال تفصيلات مثل هذه التجربة خلال طرحي الواعي ، مع ان النسيان يغشاني في حياتي العادية ، وتضمحل ذكرياتي للاماكن والاشياء . وقد يكون من الشائق هنا ان أذكر بعض ما وجدته من فروق بين طرحي الواعي وطرحي غير الواعي ففي حالة الطرح غير الواعي كما في أحلام النهار أو حين أكون عند حافة النوم فان مقابلي ينزلق مني بغير ارادتي ، وقد يصطدم أحياناً بعقبات في الفضاء تعوق حركته الحرة وتحدث ترجيعاً أو عملاً عكسياً في مجموعي العصبي ، وصدمة في جسمي الفيزيقي . وأمثال هذه المصادمات لا تحدث البتة حيناً أطرح نفسي في الفضاء طرْحاً ارادياً ، ويرجع هذا الى اني أتحرك إذ ذاك حركة واعية بكيفية أكثر ليونة وميوعة »

\*\*\*

من كل ما مضى يتضح أن ظاهرة التلبيث التي تعسف الماديون حيالها فأخرجوها عن وضعها الحقيقي لكي يباعدوا ما بين العلم والروح ، قد أدنت العلم في الواقع من الروح بل انها أصبحت دليلاً عملياً علمياً على وجود الروح .



# سور الصين

ومنشئه

لرشوان أحمد صادق

قصة هذا السور من الاحاديث الشائقة التي تناولتها اقلام الكتاب القدماء والمحدثين شرقيين وغير شرقيين ، وان هذا السور ليرى واضحاً على الخارطات القديمة والحديثة . ولنا أن نقسأ هل هو الذي ورد ذكره في القرآن ( سورة الكهف ) ام انه شيد على بقايا سور أقدم منه وما هو الا متمم للسور القديم . تقول المصادر الصينية <sup>(٢)</sup> انه لم يكن في الصين سد أقدم من السد الحالي الذي شيده الامبراطور تشن أحد اباطرة الصين وتذكر بعض المصادر الاوربية أن السور الحالي متمم لبقايا سور أقدم منه فقد ورد في دائرة المعارف البريطانية <sup>(٣)</sup> العبارة الآتية « He (Chin) constructed the great wall. This had probably already existed in part but he completed and strengthened it » وقد صرح المرحوم الشيخ طنطاوي جوهرى <sup>(٤)</sup> بأن السد الحالي غير الذي ورد ذكره في القرآن واستدل على ذلك بأن أهل ياجوج وماجوج <sup>(٥)</sup> كانوا محصورين بين سدين واعترفت بعض المصادر الاوربية بأن لا سور في الصين اقدم من سورها المعروف لنا الآن ومن هؤلاء ادجار جيل <sup>(٦)</sup>

وقد اشتهد لفظ الكتاب العرب والاجانب حول من بنى سور الصين فمنهم من قال ان اسمه الاسكندر ولا ندري من أين جاؤوا بهذا الاسم الذي لم يرد ذكره في المصادر الصينية ولا في القرآن . وقد ذكر الطبري <sup>(١)</sup> حديثاً صريح فيه بأن باني السور هو منشئ

(١) يبلغ طوله ٢٠٠٠ لي ( واللي هو المول الصيني ويقدر بنحو ١٢ ميل انكليزي ) وقد تهدمت بعض أجزائه (٢) راجع كتاب « الخلاصة الادبية الصينية العالمية » لجين جين دو كتب بالصينية طرف البعثة الصينية بالقاهرة (٣) ج ٥ ص ٥٢٩ (٤) انظر كتاب « الجواهر » ج ٩ ص ٢٠٤ (٥) وقد كانوا موضع جدل بين الكتاب وكثيراً ما ذكرهم جغرافيو العرب وهم قبائل من المغول والتتار (٦) راجع كتاب "The Great Wall of China" (جغرافية رقم ٥١٧٣ بدار الكتب بالقاهرة) (٧) الطبري ج ١٦



الاسكندرية كما أورد الزخشمري صاحب الكشف<sup>(١)</sup> ما يفيد هذا المعنى . ولكن الاسكندر الاكبر المقدوني توفي سنة ٣٢٣ ق . م<sup>(٢)</sup> في حين ان السور بني في سنة ٢١٤ ق . م<sup>(٣)</sup> ، ثم ان الاسكندر الاكبر لم يتعد نهر السند شرقاً<sup>(٤)</sup> ، وقد تعرض الأستاذ عزيز خانكي بك<sup>(٥)</sup> لهذا الموضوع فملخص معظم آراء العلماء المحدثين في هذا الصدد واستقر به الرأي على ان باني سور الصين ليس الاسكندر المقدوني تاركاً الامر لأهل البحث والتنقيب ويقول الأستاذ ريفون جست Rhuvon Guest في مقال له<sup>(٦)</sup> ان تسمية الاسكندر الاكبر بذى القرنين أدى الى الخلط بينه وبين باني سور الصين « النبي المعروف بهذا الاسم » وقد بسط الاسناد عزيز خانكي بك سبب تسمية الاسكندر الاكبر بذى القرنين نسبة الى التاج الذي تقلده في مصر

ولقد اتفقت المصادر الصينية والاوروبية التي تبحث في تاريخ الصين على أن الامبراطور الصيني تشن الذي يعد أعظم أباطرة الصين خاصة والعالم عامة هو منشئ ذلك السور<sup>(٧)</sup> فقد كان يتمتع بسلطة واسعة استغلها في النهوض ببلاده وهو الذي اشتق الاوربيون من اسمه اسم الاراضي الصينية<sup>(٨)</sup> واليه يرجع الفضل في كشف بلاد اليابان واستعمارها . وقد امتدحه قداسة البابا واثنت عليه معظم المؤلفات الاوروبية ولكن للأسف لم يقدره مواطنوه فلم يوفوه حقاً من الاعتراف بالجميل ، ومن اعماله أنه صادر المؤلفات التي تبحث في العلوم غير المفيدة في نظره والمشجعة على الرجوع الى الماضي خصوصاً ما كان يبحث منها في التاريخ وانذر معارضيه من اهل المدارس بالتنكيل والعذاب ، فدفن عدداً منهم غير قليل احياء ، ويقول ادجار جيل أنه دفن اجسامهم دون رؤوسهم فمن استسلم لرغبته انقذ ومن أصر على العصيان قضى نحبه ، ومع ذلك فقد أبقى على بعض المؤلفات التي تبحث في التنجيم والزراعة والطب لما لها من فائدة ، ويقول اعداؤه المؤرخون الكنفوشوسيون أنه احرق ما أحرق منها

(١) الكشف للزخشمري ج ٢ (٢) راجع كتاب « Ancient Times » تأليف برستد ص ٤٣٧  
 (٣) راجع Encyc. Brit. ج ٥ ص ٢٩٥ (٤) انظر كتاب « The Great Alexander »  
 تأليف روبسون Robson وكتاب « Histoire d'Alex. Le Grand » نقله مشن Méchin  
 الى الفرنسية عن الالمانية دريسون Droyson (٥) كتاب « الاسكندر الاكبر » (٦) راجع دائرة  
 المعارف الاسلامية ج ٢ ص ١٢٨ (٧) ولو صدق القول بأنه ليس في الصين أقدم من هذا السور  
 لامكننا القول بأن الامبراطور تشن هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن وقد رأيت في مؤلف صيني  
 اسمه الخلاصة الادبية لجين دو صورة قبعة اعتاد ملوك الصين ارتداؤها تنتهي بطرفين على شكل قرن الحيوان  
 (٨) للصين عدة اسماء فاسمها في المؤلفات الصينية القديمة « Hwa Hia » ومعناها The Flowery  
 Hia . وسميت أيضاً « Chung Kwo » ومعناها The Middle State وسماها بطليموس وغيره  
 من الجغرافيين القدماء « Serica, Sera Seres » وفي المقطوعات الشعرية عرفت باسم « Cathay »  
 ويسمى الروس Kitai (راجع Chamber's Encyc. جزء ٣ ص ١٨٦ لدى البحث عن كلمة China)



ليقضي على سير من سبقوه ، وليكون اول الحاكمين . والواقع ان الكتب احرقت بحجة الخوض على اتباع النظام الاقطاعي الذي كان الامبراطور تشن يرى انه لا سبيل الى توحيد الامة ما دام هذا النظام البغيض قائماً ، ولم يكن يخشى اعادة طبع الكتب ولكن الطلبة اعدموا لمحاولتهم قلب النظام الجديد

ويذكر ادجار جيل ان السبب في بناء سور يرجع الى اعتقاد الامبراطور تشن في التنبؤات إذ بلغه ان عرشه سيقوض على أيدي المغول فأسرع الى تعبئة جيش يبلغ عدده ثلثمائة الف رجل للعمل في اقامة ذلك السد

ويبدو لي انه أقام ذلك السد لصد غزوات المغول والنتار وكذلك لتخليد ذكره والتقرب الى الشعب بعمل يحميمهم من المغيرين وينسيهم أعمال الارهاب والتعذيب ، كما ان مثل ذلك المشروع الذي يتطلب وقتاً طويلاً وأيادي عاملة كثيرة لخير شيء يشغل به معارضيه وأفضل منفى لمن فكر في الثورة عليه

والواقع ان الامبراطور تشن بعد أن تم له اخضاع أمراء الولايات الصينية <sup>(١)</sup> فكر في قهر التتار بطريق سلمي لأنه وجد من العبث التغلب عليهم واخضاعهم بالقوة فهم بانشاء ذلك السور ليفصل بين الرعاة في الشمال والزراع في الجنوب ويمنع عن سكان الأودية المطمئنين غارات أهل الصحراء

وقد امتاز عصر بناء سور الصين بالاستبداد بالرأي وسعة النفوذ والسلطان وإلا لما استطاع الامبراطور الفريد الاول والذي شبهه ادجار جيل بنابليون القيام بمثل ذلك العمل الشاق . فقد بسط نفوذه على مساحة تعادل نصف اوربا تقريباً تسكنها عناصر كانت تموج واضطرب كالبركان النائر فأنزل عليهم السكينة وأدجمهم في أمة متماسكة تحمل اسمه

ولم يشارك الامبراطور تشن قومه في اتباع مذهب كنفوشيوس بل اتبع عقيدة أخرى لم يذكرها المؤرخون الصينيون الكنفوشيوسيون أعداؤه وأعداء عقيدته ووصفوه بأنه كان جبّاراً وما كان إلا حازماً يريد الاصلاح وما زالت بلاده في حاجة الى رجل عظيم مثله في تلك الظروف العصيبة

واذا ما قارنا تشن بالاسكندر <sup>(١)</sup> المقدوني وجدنا ان كلا منهما نشأ في ولاية صغيرة ثم بسط نفوذه على مساحات شاسعة ، فقد كانت مقدونيا ولاية في طرف بلاد اليونان بسطت

(١) هذه الولايات هي : Yen — تشو Chou — وي Wie — تشن Chin — هان Han —

شي Chi — تسو Tso (تقلاً عن خارطة في مؤلف صيني اسمه شيه جي شيه = تاريخ ، جي = مذكرة أي المذكرة التاريخية)



نفوذها على ما جاورها وامتد سلطانها على معظم القارة الآسيوية وذلك بفضل الاسكندر الأكبر المقدوني شبيه تشن الشاب الامبراطور الذي سرعان ما غزا تلك الامبراطورية من شمالها الى جنوبها ومن غربها الى شرقها وامتدت فتوحاته الى اليابان لا للبحث عن اكسير الحياة كما يصممه المؤرخون الصينيون أعداؤه وأنصار الكنفوشيوسية

وكان يماون الامبراطور تشن نخبة من الوزراء نذكر من بينهم بولي هسي الذي خدم مولاه الامبراطور سبع سنوات فلما مات بكاه القوم وأغلق التجار حوانيتهم حداداً عليه ، وشانج يانج الذي عمل على انهاء قوة سيده ووضع النظم الادارية من قانون وموازن ولكن الشعب لم يقدره فانقضوا عليه ومزقوه ارباباً ، وشانج الاول وكان عالماً بالنظم الادارية ، وفان شو الذي ناصر مولاه في سياسة الغزو والضم ، ولوبي وي الذي كان وصياً على الامير تشن في حداثة سنه ومنحته أم الامبراطور والنائبة عن ابنها في الحكم اسم شنج فو أي الوالد الآخر ولذلك سمي الامبراطور تشن شانج أو ليوشنج<sup>(١)</sup> ، والمستشار العظيم لي صيه الذي تقانى في خدمة مليكه وأنجز ما تأخر من طلبات سيده وقضى قضاءً تاماً على نظام الاقطاع ووضع بالاشتراك مع مليكه خارطة للامبراطورية الصينية الموحدة ، وكان هذا الوزير من أعظم المشجعين على اقامة سور الصين وعهد أمر الاشراف على بنائه الى القائد الحربي منج تين مخترع القلم الصيني

وقبل وفاة ذلك الامبراطور الرحالة أعدّ الاساتذة العلماء المقربون اليه ضريحاً لجثمانه ويذكر الصينيون عدة قصص عما تقوم به روح هذا الامبراطور من مساعدات لمواطنيه ونسبوا اليه المعجزات فمن قائل ان أنواراً تنبعث من قبره ومن قائل ان الامبراطور قد دفن في قصر ووضع جثمانه في تابوت عائى على نهر من الزئبق لا يجرؤ أحد على لمسه لانه لا يستقر في مكانه وان كل من حاول لمسه أصابته حربة . ولذا فكر بعض الجنود في ارتداء ملابس حديدية كي لا تؤثر فيهم الحربة وحاولوا لمس التابوت فعجزوا واذا بصيحة كالرعد فغادروا المكان وخرجوا خائفين

\*\*\*

وقد عثر المنقبون عن الآثار أخيراً في تلك البلاد على لوحة امتدح فيها ثلاثة من طلبة الامبراطور مولاهم وسموه ناشر العدل القاضي على الثورات محب الامن وكان ذلك بعد أن أذن لهم مليكهم وقد ذيلت تلك اللوحة بامضاء لي صيه والوزير شوشى والمراقب تن .

(١) وقد أدى ذلك الى وجود شك في نسبة الامبراطور تشن الى ابيه كما ادعى ذلك بعض المؤرخين



# فلسفة « كَان » (١)

في الهند وفي الغرب

لفظة المقارن

- ١ -

للسيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

« ان اكبر مساهمة قدمتها الهند الى العالم هي  
الديانة والفلسفة » الاستاذ السر وليم هنتر

التمهيد

﴿ منزلة الفلسفة الهندية ﴾ صرح القرآن منذ عشرة ونيف من القرون « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » . وما اصدق هذا التصريح ! فان العلم بحر لا يسبر غوره ومحيط لا ينال دونه مهما خاضت الانسانية في زمن من الازمان عباب العلم وغاصت على اسراره واحصت مسائله واستقرت دقائقه ، كل ذلك قليل بالنسبة الى ما طواه حجاب الجهل واستتر في خبايا الغيب . وعليه فكما رفع من ذلك الحجاب وكشف من تلك الخبايا حيناً بعد حين تقدمت الانسانية وعرفت به خطاها من صوابها ، وجهلها من علمها وشرها من خيرها ، فوطأت اعراف المجد وتوقلت معارج الشرف

كانوا يعتقدون الى الايام الاخيرة أن ليست الحضارة الهندية ثابتة الوطائد مشيدة الاركان في القدم والعظمة مثل الحضارات القديمة الاخرى ولكن في سنة ١٩٢٤ حدثت حادثة امامت اللثام عن تلك الاوهام . فان العالم الهندي بنرجي كشف مصادفةً آثار موهنجو دارو والاستاذ مارشال آثار هاربتا على شاطئ نهر السند وكانت مطوية تحت الرواسب فدلّت على عظمة الهند في الحضارة والتقدم ، في الالف السادسة قبل الميلاد ، فبان به شأوها على غيرها وحازت قصب السبق (٢)

كذلك كانوا يرون ان اقدم مصدر للفلسفة هو الفلسفة اليونانية . ولكن البحث

(١) هو اسم اطلقه المفكر الفيلسوف الالماني الشهير هانز فاي هنجر على فلسفته Die Philosophie des Als Ob اي فلسفة كَأَن . ويمكننا ان نعيّره بفلسفة مثال او خيال فان كَأَن تفيد اما التشبيه او الشك أو التقريب والجملة المعمولة بها ليس لمعناها نصيب من الحقيقة لانها تساق للتمثيل الغير الحقيقي  
(٢) التفصيل الوافي في الموضوع يجب ان يرجع القارئ الى تقارير مصلحة الآثار الهندية . ويجد أيضاً بياناً موجزاً في مؤلفات الاستاذ السر جون مارشال



والدراسة كسفا القناع عن ان فلك الرأي خالٍ عن السداد ، وان الفلسفة الهندية أقدم من الفلسفة اليونانية . ثم التشابه التام بين مسائل الفلسفة ومسائل بعض العلوم بالهند وبين مسائل الفلسفة ومسائل بعض العلوم باليونان والدلائل القاطعة الاخرى حملت اكثر الباحثين والمحققين على التأكد بان مصدر الاخير الاول . نعم ترتاب جماعة من العلماء فيه ولكن ليس لديها من قوة الادلة ما يحقق ريبها

قديمًا روى الفيلسوف الخطيب الروماني ابولائيوس ان فيثاغورس سافر الى الهند وتعلم الفلسفة فيها<sup>(١)</sup> كذلك ذكر مترجه الشهير أيام بليخوس انه كان جواب آفاق طوح به السفر الى اقاصي النواحي فورد فيها شرعة المصريين والاشوريين والبراهمة واستفاد من اسرارهم العلمية<sup>(٢)</sup> . وروى ايوسيليوس المؤرخ اليوناني الشهير عن ارستو كرينوس معاصر سقراط والمؤلف الشهير في علم الالحان ، ان بعض علماء الهند زاروا اثينا وناقشوا سقراط فسألوه ان يوضح غاية فلسفته فقال : البحث عن شؤون الانسان ، ففهمه أحدهم سائلاً : وكيف يستطيع المرء ان يدرك شؤون الانسان بدون معرفته الالهي معرفة تامة<sup>(٣)</sup> ؟ وسافر الفيلسوف الشهير ابولينوس التيساني من اتباع فيثاغورس في القرن الاول الميلادي الى مدينة تاكسيلا مركز العلوم والثقافة البرهمنية حينئذ في شمال الهند ودرس فيها الفلسفة على البراهمة<sup>(٤)</sup> . وصرح الكاتب اليوناني الشهير كليمنت الاسكندري (٢١٨ - ١٥٠ م) الذي يشير كثيرًا الى وجود البوذيين بالاسكندرية في زمنه ، وهو اول كاتب يوناني يذكر بوذا باسمه ان اليونان سرقوا فلسفتهم من البرابرة<sup>(٥)</sup> وحمل افلاطونيوس مؤسس مذهب الافلاطونية الحديثة شوقه الشديد لتعلم الفلسفة الهندية على اصطحاب حملة جورديان ضد شابور ملك ايران ليجد هناك من يشد به عرى آماله فيعقب بقلع مسعاه<sup>(٦)</sup> . حتى في احوال المعيشة الخاصة كان فيثاغورس نباتيًا لم يأكل لحماً واجتنب ايداء ذوي الحياة مثل اتباع الديانة الجينية والبوذية واعتقد في حرمة بعض الخضار مثل الباقلاء<sup>(٧)</sup>

(١) Leckey : History of European Morals Vol I pp. 96 note

(٢) H C. Rawlinson : India in European Literature & Thought راجع

A. Weber: Histoire de la Philosophie Européenne p 30 note أيضا p. 4

وكذلك المرجع الآتي وان كان مؤلفاه الفاضلان يرتابان فيه ولكن بغير دليل قاطع لذلك مع وجود النصوص

الصريحة P. Janet & G. Séailles : Histoire de la Philosophie p. 920

(٣) Rowlinson : India in Europe Thought & Literature p 8

(٤) McCrindle : Ancient India pp 184 (٥) ١٨ نفس المصدر ص

(٦) Rawlinson : India in Europ. Thought & Literature p 18

(٧) نفس المصدر ص ٥



هذا زر يسير من الأدلة القديمة الكثيرة ذكرناها موجزة لأننا لسنا بصدد استيفائها هنا. وأما الأدلة الحديثة فجميع الذين قتلوا الفلسفة الهندية واليونانية وتاريخهما وعلومهما درساً وفهماً وقرائناً في العصر الحاضر وتزدهوا في الحكم يرون أن مصدر الفلسفة اليونانية الفلسفة الهندية. فغير واحد من علماء فرنسا وألمانيا وبعض البلاد الأخرى، والمحقق الأدب الشاعر النرويجي كونت بيورنست يرنه، ومن الانكليز الأستاذ السرايم هنتر، والأستاذ كول بروك، والأستاذ السراوليم جونز، والأستاذ السرامانير وليز وغيرهم كثيرون لا أذكرهم الآن يرون هذا الرأي. كذلك استقر رأي الأستاذ الدكتور اين فيلد في مصنفه الشهير تاريخ الفلسفة على أن فيثاغورس، وانكساغورس وفيرو وغيرهم من حكماء اليونان شدوا الرحال إلى الهند ودرسوا الفلسفة على الهنود فاستضاءوا بمشكلاتهم<sup>(١)</sup>

هذا كان شأن الفلسفة القديمة. وأما الفلسفة الحديثة فقل أن يظهر اتجاه جديد فيها ولم يكن للهند في التفكير فيه السبق والقدم غير أن الأمر يحتاج إلى البحث والدراسة والمقارنة بامعان ودقة. إن الهند وطن الفلسفة منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة تمت وترعرعت على أراضيها المترامية الأطراف، ولا يزال بساط جزئها الأكبر مطويًا لم يظهر مكنونها ولا يتبين مكتومها بلسان عصري وتعبير حديث. على أن علماء الهند ليسوا بمعزل عنها تاركين أمورها بمضيعة. فقد قرأ العالم الهندي الشهير داس غبنتا بحثاً وافياً دقيقاً في اجتماع مؤتمر الفلسفة الدولي السادس في سنة ١٩٢٤ أثبت فيه أن ما قدم الفيلسوف بندتو كروتشي الايطالي، وهو أحد كبار الفلاسفة المعاصرين، في فلسفته الخاصة، سبقه الهنود فيه بعشرة قرون. فإن مفكرين ومصنفين جليلين من الديانة البوذية الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي وهما «دهرما كيرتي» و«دهرما تارا» فكرا في أمور وأتباعها متأها إلى أن أصبح غرض بحثهما ودريه فكركها مسائل هي عناصر فلسفة كروتشي في العصر الحاضر، فعاد به بنجاح مطلبهما في القرن التاسع وهو نفس ما عاد كروتشي بدرك ارتياده في القرن العشرين. وفي الهند غير واحد من الاندية والجامع العلمية والفلسفية يقرأ فيها مثل تلك المباحث حيناً بعد حين. واليوم نرف اليك مبجلاً طريفاً استغرق بحثه ودراسته غير قليل من وقتنا وهو المقارنة بين فلسفة الألماني الشهير هانز فاي هنجر أحد كبار الفلاسفة في العصر الحاضر وبين فلسفة الحكيم الهندي الجليل «ياجنبا والسكيا» أحد كبار فلاسفة الهند في القرن السابع قبل الميلاد

✽ الفيلسوف ياجنبا والسكيا وفلسفة «كأن» ✽ هاش ياجنبا والسكيا في القرن السابع



قبل الميلاد وهو زمن تكوين اوبانيشادات<sup>(١)</sup> الشهيرة في تاريخ الفلسفة الهندية . ولد في مدينة ميثيلا عاصمة بلاد ويدها وعاصر ملك جناكا من ملوكها الذي لا ينوه به اوبانيشاد كفاتح أو قائد منتصر ، أو فارس فائز في حلبة الفروسية بل كسامح في النقاش الميثافيزيقي أو رئيس في المجلس الفلسفي أو مسبق رعائته على الحكماء المشهورين في دولته أو صديق لياجننا والكيما يحوز ياجننا والكيما شأو السبق في الفلسفة والحكمة والعلم والفضل بين الفلاسفة البراهمة لذلك له في الفلسفة الهندية شخصية لا تجارى واثرا لا يدرك شأوه . ومشربه من المذاهب الفلسفية الهندية « فلسفة ادوائيتا »<sup>(٢)</sup> . وعليه فالآتمان<sup>(٣)</sup> عنده أساس كوني لجميع الوجود كما هو مركز المعرفة لجميع العلم . فهو مصدر جميع الوجود واصله كما هو منبع يجب أن ينسب اليه جميع الادراكات . وقد أبان عقيدته الكونية في نظرية الانبثاقات الخاصة له . وهي ان الحقيقة الوحيدة للآتمان وان كل شيء آخر « آرتا » ( اي بلاهة ) لكونه مشتقاً محضاً . ومع ان مسألة تناسخ الارواح لعبت دوراً هاماً في الفكر البرهمي الهندي ولكن ياجننا والكيما من علو الفلسفة الادوائيتية يعتبرها غير الحقيقي فان الروح عنده شيء خالد فلاجل اي شيء وفي اي شيء تناسخ<sup>(٤)</sup> كذلك هو يعتبر الشعور من وجهة النظر الفلسفي المحض حادثاً زائلاً ولكن هذا لا يمنع من اعتبار الآتمان Noeses Noeseos اي الشاهد

الذاتي الخالد<sup>(٥)</sup> والحقيقة الوحيدة في عالم الاوهام

واما فلسفة « كَأَن » له خين اراد ياجننا والكيما ان يعتزل العالم ويهجر حياته الدنيوية وزرع املاه على زوجته مايتري وكاتياياي . فسألته الاولى عند الوداع عن سر الموت والخلود فقال لها : ان الحقيقة للآتمان وهو في الكائنات مثل كتلة الملح ألقيت في الماء وذابت فيه لا يمكن ان ترى وتجمع مرة أخرى ، ولكن من أي جهة يؤخذ الماء يكون ملحاً . كذلك

(١) اوبانيشادات جمع « اوبانيشاد » اسم آخر يطلق على « ويدانتا » معنى الاخير بالسفسكريتية خاتمة ويدا ، ومعنى الاول الجلوس بقرب ( الاستاذ لتلقي أسرار العقيدة ) وهي عبارة عن الابواب الاخيرة في كل ويد من الويدات الاربعة تشبه كتب المتون في العقيدة وتحتوي على أكثر العناصر من المذاهب الفلسفية الهندية المختلفة لذلك كثرت لها الشروح والحواشي والتقاريرات باشر فيها كل منهم بمنهجه الخاص وأسلوبه الفريد موضوعاً واحداً وهو عقيدة برهمي أو آتمان . وأقدم اوبانيشادات اثنتان ١ : — بريهد آرتياكا أو اوبانيشاد و ٢ : — تشندوكيا اوبانيشاد . ونحن سننقل كثيراً من الاول ونرمز له « بري »

(٢) هو مذهب وحدة الوجود من المذاهب الفلسفية الهندية يقرر ان لا ثنائية بين الروح والمادة ، والنفس والعالم والفكر والوجود بل الحقيقة الوحيدة للآتمان . ويمكن ان يلخص المذهب كله فيما يلي : —

١ — الحقيقة الوحيدة للآتمان . ب — الآتمان معرض العلم فيها . ج — لا يمكن ان يعرف الآتمان (٣) آتمان كلمة سنسكريتية معناها نفس ، ترد كثيراً في الكتب الدينية الهندية وتستعمل فيها بمعنى الروح الفردي . الوهو عنصر هام في فلسفة ادوائيتا فللمعادلة عندها : آتمان = برهمي أي توحيد الروح الفردي مع روح العالم أي الله (٣) بري باب ٢ عدد ٤ و ١١ (٤) بري باب ٤ عدد ٣



آتمان = برهن اللامتناهى الغير المحدود الكامل العلم يشعر به الكائن في نفسه وفي غيره ولكن بعد الموت لا وجود لذلك الشعور . يريد به ان في الحياة بعد المات لا يبقى شعور الفردية لا اندماج روح الفرد في روح الكل . فقالت له ما ترى : « ان قولك ان لا شعور بعد الموت شوشنى » فرد عليها يا جننا والكياء : « أنا لا أقول لك شيئاً مشوشاً فان الأمر واضح . انه حيث كآن ثنائية موجودة يستطيع واحد أن يرى ، ويسمع ، ويشم ويعرف الآخر . ولكن حيث يدرك مدرك الحقيقة ان العالم بأسره آتمان ، فباي شيء يستطيع وماذا يستطيع أن يدرك ؟ وبأي شيء يستطيع وفيه يستطيع أن يفكر ؟ وبأي شيء يستطيع وماذا يستطيع أن يسمع ؟ كيف يقدر على أن يعرف العليم الذي يحيط علمه بكل شيء ؟ » هذا الكلام وان كان سياقاً الحياة بعد المات يفيد رأي يا جننا والكياء في نظرية المعرفة كذلك . فهو يقول بما ان الادراك والسمع والتفكير وغيرها تحدث حين كآن الغير موجود ، لذلك اذا غاب هذا الغير أصبح عمل الادراك والسمع والتفكير غير ممكن . وعليه ففلسفته تقتضي معمول كآن أي الثنائية المثالية أو الخيالية لتصبح الاعمال النفسية مثل الادراك والتفكير ممكنة . ولكن التجربة تبين لنا ان هذا الغير أو معمول كآن غير حقيقي . لذلك للعمل في منطقة نظرية المعرفة يجب أن تكون الثنائية المعروضة معمول كآن وليست بحقيقية مطلقاً . فهي كآن الثاني وضع بازاء الاول . وهذا الثاني أو العين عديم الوجود اذا أزيل عن الاول لا يبقى إلا الاول أو النفس كذلك يقرر يا جننا والكياء ان لا يمكن أن يجعل « العالم » موضوع العلم . ان الذي أعلم ويحيط علمه بكل شيء كيف يمكنه أن يكون معلوماً ؟ وهو أساس نظرية المعرفة عنده

يظهر مما سبق ان يا جننا والكياء ينكر وجود غير الآتمان ولكننا نراه يعدله في سلسلة الكلام فيما بعد قائلاً : اننا حين نقول نحن لا نعرف شيئاً آخر فهو يدل اننا نعرفه ومع ذلك لا نعرفه . يقصد به ان فلسفة كآن أو الخيال التي توجه الشك الى الكائنات ذات حقيقة موضوعية للعلم وتجعلها مظهراً بغير الحقيقة يمكن ان يعدل بالاعتراف لها بشيء من الحقيقة لأجل الأغراض المتعلقة بعلم النفس فان أدوات الادراك أي أعضاء الحواس لا تنقطع عن وظائفها . ولكن بما ان الوجود الحقيقي لجميع الأغراض الكونية للآتمان فقط لذلك الحقيقة الخارجية التي نعرف بها يجب ان تكون من نوع معمول كآن أي خيالية

هذا ما ذكر يا جننا والكياء من فلسفته في ضمن حرف « كآن » ( «ايوا» بالسفسكريتية) في بريهد آرنيك اوبانيشاد . ولاوبانيشاد هذا ثلاثة شارحون : شنكرا ، ورامانوج ، ومادهو .



# نباتات الصناعة في مصر

قديمًا وحديثًا

لحمود مصطفى الدمياطي

كان لكشف أرض أميركا وأستراليا وبولينسيا وأفريقية الجنوبية وما والاها من الجزائر ولسهولة العلاقات التجارية بين مختلف بلدان العالم أثر كبير في انساع نطاق فنّ فلاحية البساتين في مصر . فقد استجلبت أنواع كثيرة من الأشجار والشجيرات والاعشاب الغريبة التي لم تكن معروفة عند المصريين القدماء واليونانيين والرومانيين والمسلمين الاوائل . وتمّ تعويدها على مناخ مصر أي «أقلمتها» . وقد ساعد موقع مصر الجغرافي ودرجة حرارتها على أقلمة أنواع النبات من المناطق الحارة والمعتدلة وبالأخص ما جلب منها من أميركا الشمالية والجنوبية وأفريقية الجنوبية وجزائر موريس ومدغشقر واليابان . وقد فطن الى خطورة تزويد مصر بأنواع النبات النافعة ولالة مصر منذ عهد محمد علي وبالأخص إبراهيم فاسماعيل فن النباتات التي استجلبت لآليافها الأنواع الأربعة الآتية وهي : —

(١) — ﴿الآباقه﴾<sup>(١)</sup> : نبات عشبي من الفصيلة الموزية يبلغ ارتفاعه ثلاثة امتار وينضج للاستغلال بعد ثلاث سنين . وله ألياف دقاق شديدة المتانة يحصل عليها من أغصان أوراقه فيصنع من بعضها حبال وأمراس ومن البعض الآخر نوع من الورق في أميركا وينسج من أذقها قماش رقيق من أشهره مناديل وأوشحة مانيلا . وقد تستعمل الاليف في التجبيس . ويحصل من كل نبات على رطل واحد من الاليف في السنة وكان الآباقه في بعض حدائق القاهرة بين سنتي ١٨٧٠ — ١٨٨٠

(٢) — ﴿البتشاق﴾<sup>(٢)</sup> : نوع عشبي سنوي كبير من جنس الملوخية<sup>(٣)</sup> من الفصيلة

(١) معرب عن لغة أهل جزائر الفلبين موطنه الاصل واسمه العلمي *Musa textilis*, Nees وبالانجليزية Manilla-hemp Plant وبالفرنسية Chanvre de Manille

(٢) معرب عن اللغة السنسكريتية واسمه العلمي *Corchorus capsularis*, L. وبالانجليزية Jute Plant وبالفرنسية *Corète Capsulaire* (٣) هي من أصل يوناني «ملخي» يرسم بالاحرف اللاتينية Malakhe معناها خبازي . قال الخفاجي سمي الملوكة غرضها العامة وقالت ملوخيا وهي بقل يعمل منه طعام معروف بمصر لكنه في الهند يزرع بالقرب من كلكتا للحصول على الجوت أيضاً كما يزرع البتشاق في البنغال واسمه المعرب عن السنسكريتية «بت» والعلمي *Corchorus olitorius*, L. وبالانجليزية Jew's Mallow وبالفرنسية Mauve des Juifs



اليزفونية يلي القطن شأنًا في البلاد الحارّة . قد يبلغ ارتفاعه مترين ونصف . ويزرع بالأخص في الهند في شرق بلاد البنغال ووسطها وله ألياف تسمى « الجوت » <sup>(١)</sup> يحصل عليها « بتعطين » سوقه في الماء مدة من الزمن . وهي أضعف من ألياف الكتان والقنب لكنها برّاقة كالحرير دقاق البنية وقوة غزلها جيدة . تستعمل في صناعة الرياش والأبسطة البخسة الثمن والأكياس والزكايب وخيش حزم البضائع والحبال والورق وغير ذلك . وأشهر مراكز صناعة الجوت هي كلكتا في الهند ودندي في أيرلندة حيث توجد مصانع كبار

ولا يزال البتّشاق يزرع للتجربة في قسم النبات التابع لوزارة الزراعة

(٣) -- \* السن \* <sup>(٢)</sup> شجيرة سنوية متفرّعة من الفصيلة القرنية موطنها الأصلي جنوب آسيا وبالأخص الهند قد يبلغ ارتفاعها عشر أقدام . أزهارها صفر تخرج في عساليج . أوراقها فضية طوال حداد الاطراف تغشاها أوبار دقاق حريرية . ويحصل على أليافها « بتعطين » سوقها في الماء مدة من الزمن كالبتشاق . وتستعمل في الهند لصناعة الأكياس والخيش البخس الثمن . وقد تزرع الشجيرة علفاً أخضر للماشية . وكان السن في حدائق القاهرة والقناطر الخيرية ولا يزال يزرع قليلاً بقسم النبات

(٤) -- \* الرامي \* <sup>(٣)</sup> نبات عشبي من الفصيلة الانجيرية ينبت في الصين والهند الشرقية وهو مصدر ذو شأن لأليافه المتينة الطريقة فتنسج قاشاً أو شبّاكاً وبالأخص شبّاك الاضاءة « الرتينات » . تقدر متانتها بثلاث مرات متانة ألياف القنب . ويحصل عليها من قشرة الأغصان الصغار بتليينها بالماء الحارّ أو البخار ليسهل انتزاع الاليف الرخوة من القشرة وهي لامعة متينة يتوفر فيها بريق الحرير ومتانة الكتان . وثمن الطن منها قبل النسيج يختلف من ٤٠ الى ١٢٠ جنهما . ويقدر وزن غلة الفدان منها بطنين ولا يزال الرامي يزرع للتجربة بقسم النبات .

(١) أطلق الامير مصطفى الشهابي في معجمه الذي ظهر حديثاً لفظ « الجوتة » على نبات البتّشاق وقال هي معربة عن السنسكريتية . وعندي ان يقتصر في اطلاق لفظ الجوتة على الاليف أما النبات فيبقى له اسمه وهو البتّشاق . والجوتة معربة عن « جهوت » بلهجة « اوريسا » في الهند

(٢) معرب عن اللغات السنسكريتية والاردوية والهندية واسمه العالمي *Crotalaria juncea*, L. وبالانجليزية *Sunn Hemp* وبالفرنسية *Chanvre du Bengale*

(٣) معرب عن لغة الملايو واسمه العالمي *Boehmeria nivea*, Gaud. وبالانجليزية

*China-grass* وبالفرنسية *Chanvre vert de Chine*



# طبيعة المدن الفاضلة

لحسن أنيس

١- ان الحياة التي عرفت الوجود الطبيعي الذي يتألف في جوهره من نظام دقيق يسير وفق قوانين ضرورية، ثابتة لا تعرف التخلّف، عامة لا تعرف التجزؤ والاختصاص. هي هذه الحياة نفسها التي بدأت تشعر شيئاً فشيئاً « بوجود اجتماعي » تتألف طبيعته من نظام تركيبي عضوي دقيق يسير تبعاً لقوانين اجتماعية تماثل القوانين الطبيعية في الضرورة والثبات والصرامة. وتلك القوانين الاجتماعية ليست مبادئ يخترعها الذهن ليحل بها الطبيعة الاجتماعية حلاًّ صناعياً ولكنها روابط مكتشفة اكتشافاً من « طبيعة الاشياء الاجتماعية » ذاتها، ويصدق منتسكيو كل الصدق حين يقول « القوانين هي الروابط الضرورية التي تشتق من طبائع الاشياء »

فمثل الظاهرة الاجتماعية في النشأة والتطور مثل الكائن الحي يخضع في نشأته وتطوره لنواميس ليس لارادة مهما كانت سلطان عليها أو تدخل في عملها إلا في الحدود التي تتيحها هذه القوانين ذاتها، وهي حدود يسيطر عليها روح التنظيم الاجتماعي العام

٢- ولما كانت « الجماعة » كوناً متطوراً واعياً وعياً اجتماعياً فهي « تشعر » بنوع من الرضا أو نوع من السخط في كل مقام تبلغه من مقامات التطور، الذي دفعها اليه القوانين الاجتماعية، دفعا على القمر لا على المشيئة الانسانية. وكان من الطبيعي أن تشعر الجماعة بالرضا اذا لاءمتها آثار هذه القوانين حتى يبلغ بها الرضا في كثير من الاحايين ان تنتزع هذه الصفة من نفسها وتخلعها عفواً على القوانين، فالتقدر الذي يمثل القانون في بعض الافهام حسن خيّر في نظر المشتري اذا حلّ الرضاء بهبوط الاسعار، وهو شرير قاسٍ في نظر البائع، والمطر اذا هبط وقت الاحمال فالتقدر طيب خيّر، واذا هبط بحيث لا تبغيه الارادة الانسانية فهو أحمق أهوج. وليس في الحقيقة على التقدر شيء فانما هو القانون الاقتصادي في الحال الاولى والقانون الطبيعي في الاخيرة وليس القانون في ذاته خيراً أو شراً أعلى الحالين ويعيننا أمر الجماعة حين تحس السخط، لأن آثار القانون لم تلائمها. أو لأن القدرة الحركية التي يستطيعها الجسم الاجتماعي لا تتناسب مع مرامي الادراك الجمعي، بحيث يبدو الواقع الحاضر ناقصاً هزياً بالقياس الى المثال الذي تتصوره الجماعة وتريد أن تبلغه، فتعوزها



الأداة وظروف الواقع في هذه الحال ومثلها التي تحس فيها الجماعة بحاجة روحية دافعة الى التغيير والاستحالة يهتز كيان الجماعة هزاً أعنفياً وقد يكون التعبير هو التنفيس الوحيد في هذا الطور ، فتهيئ الجماعة لذلك قلباً عبقرياً تطلق على لسانه مشاعر الوعي العام فيصقلها صورة كاملة للحياة المأمولة الغائبة : المفقودة أو الموعودة التي يدركها الذهن وتقتصر بواعث الوجود عن وضعها موضع العمل والتنفيذ — هذه الصورة هي المدينة الفاضلة ، وهي بذاتها دلالة أكيدة على موقف من مواقف الذهن يوميء الى حقيقتين خطيرتين هما : —

أولاً . الشعور بفساد المجتمع القائم .. ثانياً — والحاجة الى بناء مجتمع مأمول

٣ — فهي نموذج كامل للنظام المرجو لحياة اجتماعية بأسرها ، وهي سيرة خالية من البأساء والخطايا ، خالية من المرض والفقر والجهالة يسودها الحب والعدالة ، الثروة موزعة بين أهلها توزيعاً حسناً بحيث يجد كل مواطن حاجته بين يديه ، ولغة هذه الجماعة لغة فصحي لا تعرف التعدد ولا تعرف اللهجات ، والمواطنون الفاضلون بعيدون كل البعد عن الشقاق الديني لان الحرية الدينية مكفولة بل ان الشعور الديني موحد لا يتشقق فيبحث الخلاف ويثير الفتنة . ومن بعض حسنات هذه الجماعة انها لا تشعر البتة بالشقاق العائلي لان الزوج عاقل فاضل والزوجة عاقلة فاضلة والاولاد قد تنشأوا على الحب والحرية والفضيلة . ذلك اذا اعترفت الجماعة بنظام عائلي . اما اذا كانت شيوعية مطلقة فلا شقاق أيضاً . فالحكمة قد حمت الذكر والانثى من هذا اللجج والشحناء والمدينة تفيض كلها بالحكمة والقوة والثراء ، يرف على حواشيتها الضياء المأنوس من الحق والخير والجمال الذي يراه دستور مثالي تقوم على تنفيذه حكومة مثالية صالحة على رأسها حاكم حكيم : فيلسوف في بعض المدن أو انسان من طبيعة فذة ليس لها مثال بين عامة المحكومين ، مزود بمسكات اضافية زائدة تكاد ترفعه الى درجة نبي كما هو الحال في مجتمع الفارابي فالمدينة الفاضلة نموذج لحياة اجتماعية سامية متينة البناء تؤدي وظائفها في حدود الكمال المنشود ، بل ان الآلة الاجتماعية هنا آلة مثالية لا ينالها العطب ولا تبطئ في تحقيق رغبات المجتمع بوجه عام

٤ — تلك هي السمات الملحوظة على العموم في المدن الفاضلة من حيث الجوهر والطبيعة وان اختلفت في العرض والشكل فقد يكون خوى المدينة الفاضلة مضموناً ايجابياً منشئاً يرعى تصوير المستقبل ويهمل الواقع وقد يقتصر بعض المدن على تصوير الواقع تصويراً سالباً يكتفي بنقد الحاضر والسكوت عن المستقبل ، ولكنها جميعها تتفق على الاشارة ان جهراً وان خفية ، الى التبرم بالواقع ، ورجاء المستقبل الصالح

وقد تضيق الرقعة التي تنشأ فيها المدينة الفاضلة حتى تصبح في سعة جزيرة صغيرة مثل



الاوريسانا Oceana التي أنشأها جيمس هرنجتون James Harrington وقد تتسع حتى تشمل ما يضاهي عالمنا كله مثل المجتمع الانساني الذي حلم به الفارابي . ولكن لا ضير من الضيق او الاتساع على الجوهر في الحالين .

بل قد تنشأ المدينة في الجو اليوناني الوثني ، او العصر المتوسط المسيحي أو في الوسط الاسلامي أو في العصر الصناعي ، فتصطبغ المدينة بصبغة الوسط الاجتماعي الخاص ، ولكن اختلاف الالوان والاصباغ لا ينال من الطبيعة الاساسية التي تكون المشترك العام بين جميع المدن

كذلك نلاحظ اختلافاً من هذا القبيل في طرق الحل او الحلول التي تعرضها هذه المدن بأن يكون المحور الاجتماعي الذي تدور عليه بقية دعاوى الاصلاح هو « العدالة » التي يهدي اليها الرشد الفلسفي كما هي الحال في « الجمهورية » او ان تكون « الشيوعية المطلقة » مثلاً هي الفكرة السيدة التي تخدمها بقية الافكار مثل ما في مدينة الشمس Civitas Solis التي ابتدع بناءها المفكر الايطالي كيبانلا ، ومثل فكرة « الحب » التي تترأس التنظيم والاصلاح في أرض سالانت Salente التي خالها فينلون ، وقد يكون الحل مرتبطاً بتوزيع الثروة العقارية « كما دعا الى ذلك صاحب اوريسانا Oceana والى غير ذلك من اختلاف في طرق الحل والحلول المعروضة ، التي جاءت تبعاً للاختلاف بين الحاجات الروحية للجماعات المختلفة في كل زمان ومكان . ولكن اختلاف طرق الحل وتعدد الحلول لا يغير من طبيعة المسألة العامة شيئاً

٥ - فما هي هذه الطبيعة ؟ أقصد طبيعة البناء الفكري التي تقوم عليها الوحدة المشتركة بين هذه الانظار جميعاً . مهما اختلفت أشكال المدن وتعددت ألوانها ، بل مهما تباينت مناهج الحل وكثرت الحلول المفروضة واذاً في الاستطاعة تصور الاجابة من المفاهيم التي تضمنتها الفقرات السابقة ، ومن الممكن القول أيضاً ان طبيعة هذا الفكر هي الطبيعة التأليفية التركيبية التي يتركز فيها النظر « فيما ينبغي أن يكون » ويهمل « ما هو كان » فهي ارادة اصلاح وعمل وتنفيذ تغذيتها روافد روحية محررة لا تعرف الشعور بالواقع ولا تحسب حساباً لظروف الحياة وارادة الانسان الحقيقية واقتدار الجماعة على الفعل . وهي زيادة على ذلك تجهل « الطبيعة الاجتماعية » وما تخضع لها من قوانين في وضع هذه القوانين الذي مكننا له في الفقرة الاولى

٦ - من ثم فشلت المدن الفاضلة حينما أريد تحقيقها جملة في هذا الكوكب ، وشعر بعض أصحابها بهذا الفشل . وكان من لوازم هذا الشعور لون من ألوان التحول الفكري ، فبرم



أفلاطون « بالجمهورية » وعدّل من أنظاره ، بما يلائم النظر العقلي الذي يشعر بالواقع الاجتماعي شعوراً حقيقياً وكان أن دوّن « النواميس » وكذلك تحوّل الفيلسوف العربي عن فكرة المجتمع الانساني الاسلامي العام الى مدينة ضيقة فاضلة . وعلى كل حال فهذا التحول لم يكن يكفي ليلائم بين طبيعة النظام في هذه المنشآت الجديدة ، وبين القوانين التي تسير وفقها بالضرورة طبيعة الوجود الاجتماعي . ولهذا تحتم عليها الفشل هي الاخرى ذلك بأنها كسابقتها ليست ملائمة للقوانين الاجتماعية الضرورية ، ولكنها مبنية على مبادئ ذهنية مفارقة فرضت على الواقع فرضاً صناعياً فامتنع تحقيق هذه المدن في المكان وان كانت قد تحققت تحقّقاً كاملاً في الازدهار

والحق ان توماس مور كان ملهماً حين وسم مدينته الفاضلة باسم اليوتوبيا Utopia لأول مرة في تاريخ أسماء هذه المدن . ومعنى اليوتوبيا الحرفي انها التي لا توجد في أي مكان وتابعه في ذلك وليم موريس فجاءنا بأخبار النوهوير Nowhere وقلب ترتيب أحرفها أخيراً S. Butler فأطلق عليها اسم إرون Erewhon وهي بحق التي لا توجد في أي مكان لانها لم ترع بالنظر الواقعي ذلك المكان

٧- ومن حق علم الاجتماع البحث ان يأخذ عليها انها أغفلت « ما هو كائن » و « ابتغت ما يكون » فخذت بذلك في « موضوع العلم الحقيقي وشروطه » . وخذت على الاثر في « المنهج الخاص » المتبوع . وفقدت اذاً شرط العلم البحث الذي يقف من الظواهر عند الوصف والشرح والتأويل ابتغاء « كشف القانون » . ولكن هذه النظرة على حقيقتها وصحتها التامة ، لا تعدو النظر الى الوجود من جانب واحد

٨ - على كل حال فان هي هزات قيمتها في ميزان العلم المحض فهي بنفسها ميزان للخير والشر بما تقدمه من مثل مطلقة توزن بها المجتمعات الانسانية كما يقول جورج سورل حين يعوزنا الميزان والتقويم

٩ - وهي بعد في النظر الانساني العام منشأة ذهنية تضرمت فيها آلام وأحلام ، وانطوت على إمكانات أذنت بتعديل النظر في حقوق الشعوب والجماعات ، وأمانت على ايقاظ الوعي الجمعي فنصبت وازعاً حاضراً قائماً في النواظر والأعيان

فان كان القانون صلب لا يلين تحت ضغوط الرغبات الانسانية فالمدينة الفاضلة معنى حي يتوسع بما فيه من مرونة الأحلام والاهام - وما أعز هذه الاحلام وهذه الآمال حين تضطرب الجماعات وتتخبط من الفوضى والشرور . وما أحوج هذه الجماعات في لحظات الحرج والضيق الى مؤنس يقصّ سيرة الحياة الفاضلة الخيالية ، ويرسم صورتها بخطوط واضحة .



# تطور الخدمة

الاجتماعية في بريطانيا العظمى

لفؤاد محمد شبل

## ١ - قانون مكافحة الفقر

بدأت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر أعراض التحول في الاقتصاد البريطاني وهو تحول يرجع الى التغييرات الاقتصادية العميقة التي أخذت سبيلها في هذا القرن وأهمها تسييج أراضي رعي الأغنام وتقدم الصناعة والتجارة في المدن مما استتبع هجرة العمال الزراعيين وزوج من لا يملكون أرضاً التماساً للرزق فيها

وهكذا برزت مشاكل اجتماعية لم يكن في وسع نظم القرون الوسطى إيجاد العلاج لها .  
وخاصها بالذكر تعذر إيجاد هذا العدد العظيم من الرجال الذين اندفعوا من القرى الى المدن من المبالغ المخصصة للمساعدة العامة عند طوائف الانتاج Guilds وهذا مادعا الحكومة الى التدخل لإيجاد حل لهذه المشكلة وأسفرت التجارب التي أجرتها الهيئات الإقليمية عن نظام لمساعدة الفقراء صدر به قانون في اواخر عصر الملكة اليزابيث عرف بقانون مكافحة الفقر The Poor Law وتأييد بقانون آخر صدر في ١٦٠١ ، وقد تعدلت التفاصيل الادارية لقانون مكافحة الفقر منذ ذلك الحين تعديلاً دقيقاً وان ظل محور السياسة الانكليزية الاجتماعية ولبت قانون مكافحة الفقر الاداة الاجتماعية الوحيدة في انكثرا وويلز طوال مائتي عام وقد ضم بين ثناياه كثيراً من صور الخير الاجتماعي التي غدت في العصور الحديثة تدرج في مشاريع مستقلة . وكانت المعونة تسدى للمريض والمقعّد والى الأرامل والمسنين الذين ليست لهم عائلات . وتدبر الأعمال للأشخاص المتعطلين مع قدرتهم على العمل . فان لم يتيسر تدبير العمل خصصت لهم اعانة الى ان يتيسر إيجاد العمل لهم . وكانت فئات الاطانات تتخفف بتغير الأقاليم



وفي سنة ١٨٣٤ تعدّل قانون مكافحة الفقر تعديلاً عظيماً لاصلاح الاخطاء والمساوىء التي حلت بالبلاد اثر الحروب النابوليونية وأخصها بالذكر انتشار التعلل والفقر ، ولقد كانت النتائج الاجتماعية لهذا الاصلاح بعيدة المدى

\*\*\*

## ٢ - المذهب الحر والسياسة الاجتماعية للدولة

سادت مبادئ المذهب الحر وتسلطت على الافكار طوال الجزء الأكبر من القرن التاسع عشر . وكان التدخل الحكومي في المسائل الاقتصادية خاصة مكروهاً عند أصحاب هذا المذهب . بيد انه رغمًا عن تغلغل آراء المذهب الحر في العقلية الاقتصادية والاجتماعية البريطانية . فقد أخذت الدولة على عاتقها اعادة التعليم الاولي في عام ١٨٢٣ وتقرر تشريع حماية مصالح العمال في المصانع والمناجم والمحاجر وبذلك اختفى - تدريجيًا - كثير من المساوىء التي ظهرت ابان انهضة الصناعة بالبلاد . وعمدت المجالس البلدية الى انشاء المستشفيات والمتنزهات والمكتبات الصحية العامة وحمامات السباحة وقد تمت هذه الأعمال رغمًا عن اعتراض كثيرين ممن كانوا يؤمنون بأن تدخل الدولة في اعادة رعاياها - اللهم الا عن طريق قانون مكافحة الفقر - يوجب استقلال الفرد ويجرده من فضيلة الاعتماد على النفس ويسلبه غريزة المصلحة الخاصة ، أساس التقدم الاقتصادي للجماعة . ويرد تماسك بنيان النظام الاجتماعي والاقتصاد البريطاني خاصة الى التقدم الاقتصادي والمالي العظيم الذي تمتعت به بريطانيا العظمى في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر والى نفوذها الصناعي والتجاري فضلاً عن اتساع مجال الهجرة لابنائها سواء في المستعمرات أو في غيرها من أراضي العالم الجديد . فكان التقدم الاقتصادي والهجرة اذاً في منزلة صمام الأمن وكان طبعياً ان تتسلط مبادئ الاقتصاد الحر على التفكير الاقتصادي والاجتماعي طوال العصر الفيكتوري . على انه في أواخر هذا القرن ، بدأت هذه المبادئ تتداعى تحت ضغط القوى والآراء الفلسفية الجديدة وقد زعزعت الازمات الصناعية الكبيرة التي عصفت بالاقتصاد البريطاني بين عامي ١٨٨٠ - ١٨٩٠ عقيدة المؤمنين بالتقدم الاقتصادي كملاج للمساوىء الاجتماعية للعصر . فكان ان هبّ كثير من العمال يطالبون مزيداً من رعاية البرلمان كما نهض الدعاة والباحثون وبذلوا جهداً جبّاراً في تأييد قضية الاصلاح الاجتماعي . ومن ثم أصبحت القضايا الاجتماعية التقليدية موضع نقد وتمحيص على ضوء التطور الاقتصادي والاجتماعي للبلاد . وباتت مشكلات المتعطلين والمسنين والرضى وما اليها من المسائل تدرس



على أساس التحليل العلمي . وعلى ضوء المعلومات الاجتماعية ( وقوامها الاحصاء ) التي جمعها الباحثون بالدرس والامتصاص . وهكذا تقررت أخيراً مسؤولية الدولة على علاج مشكلة الفقر ومساوئها

وفي سنة ١٨٩٧ تمكنت وزارة جوزيف شميرلن من اقرار قانون التعويض عن اصابات العمل وفي عام ١٩٠٦ نجحت حكومة الأحرار مؤيدة بثلاثة وخمسين عضواً من العمال في تعديل هذا القانون بجملة عامّة بعد أن كان قاصراً على عدد محدود من الصناعات الخطرة . وفي عام ١٩٠٨ صدر أول قانون للمعاشات يقضي بصرف معاش كمنحة — لمن بلغوا السبعين من العمر اذا ثبت فقرهم . وفي عام ١٩٠٩ صدر أول قانون بريطاني لتخطيط المدن . وفي السنة التالية — ١٩١٠ — عرض المستر ولستون تشرشل وكان وقتئذٍ وزيراً للتجارة مشروعاً لتبادل العمال تنظيمياً لسوق العمل . وهذا المشروع وضعه المستر ولیم بفردج ، وكان وقتئذٍ موظفاً حكومياً . وفي عام ١٩٠١ وضعت وزارة لويد جورج أساساً جديداً للسياسة الاجتماعية لتقريرها مشروعين هامين للتأمين المشترك ضد ضعف الصحة والتعطل على التوالي . وقد أتاح القسم الاول من قانون التأمين الاهلي الذي طبق في يولييه ١٩١٢ المساعدة النقدية في حالات المرض والولادة والعجز والخدمة الطبية للشخص المؤمن عليه، وقد شمل المشروع جميع السكان تقريباً الذين تتفاوت أعمارهم بين ٦٠ و ٧٠ سنة والذين يؤدون أعمالاً يدوية أو غيرهم اذا قلّ دخلهم عن ١٦٠ جنيهًا سنوياً ( ثم رفع هذا النصاب الى ٢٥٠ جنيهًا في عام ١٩١٩ والى ٤٢٠ جنيهًا في عام ١٩٤٢ وبذلك زاد عدد المنتفعين به من المشتغلين بالأعمال غير اليدوية ) وقد يسر القسم الثاني من قانون ١٩١١ تأميناً محدوداً ضد التعطل في بعض الصناعات الرفيعة وهي التي تنصف بعدم استقرار العمل فيها . وقد شمل المشروع في البداية ٢ ١/٢ مليون عامل . وفي عام ١٩١٦ وسع نطاقه حتى يضم ١ ١/٣ مليون عامل آخرين . وفي عام ١٩٢٠ صدر قانون بالتأمين ضد التعطل ألغى نسب القانون القديمة وشمل ١١ مليون عامل . وفي عام ١٩٣٨ غدا عدد المستفيدين منه ١٥ مليون عامل

\*\*\*

### ٣- الإصلاح الاجتماعي بعد الحرب الماضية

في خلال عام ١٩١٦ أنشئت ادارة عامة للعلاج والوقاية من الأمراض الجنسية وتم في عام ١٩١٨ تعديل واسع النطاق لاصلاح شؤون التعليم . وبعد ان وضعت الحرب اوزارها ساهمت حكومات المحافظين والائتلاف والعمال في النهوض بالشؤون الاجتماعية . فامتد نطاق العناية



بمسائل الاطفال والولادة وتقدمت وسائل رعاية العميان . وفي عام ١٩٢٥ قدم المستر تشرشل وكان وزيراً للمالية المشروع القومي الاول للمعاشات مع اشتراك المستفيدين في الدفع وهم الارامل واليتامى والمسنين . وفي عام ١٩٢٩ وسعت حكومة العمال الثانية مدى هذا المشروع . وفي عام ١٩٣٧ نشرت الحكومة القومية مزاي التامين الاختياري بين الاشخاص ذوي الدخول الصغيرة الذين يشملهم التامين الاجباري بيد انه كان ثمة مشكلتان حجبتا جميع المشاكل الأخرى طوال فترة ما بين الحربين ، وهما السكن واعانة المتعطلين

فقد خلفت الثورة الصناعية ، مشكلات اجتماعية خطيرة تتمثل في رداءة مسكن العمال واكتظاظها بساكنيها فضلاً عن قذارتها، وهذه مسائل لم يعن بها كثيراً التشريع الاجتماعي قبل عام ١٩١٤ وضاعف حدتها توقف شركات البناء طوال سني الحرب العالمية الاولى . فلما وضعت الحرب أوزارها صدرت مجموعة من قوانين السكن ، ويسرت اكتسابات الجمهور انشاء مساكن صحية رخيصة للعمال . فبني أكثر من أربعة ملايين ونصف مليون منزل جديد معظمها من النموذج الذي تتطلبه طبقة العائلات العاملة . كما هدمت مئات الألوف من المنازل الفقيرة . وهكذا بات أكثر من ثلث سكان بريطانيا العظمى يسكنون منازل جديدة في غضون عشرين عاماً . والواقع ان حركة بناء المنازل كانت خير ثمرة للسياسة الاجتماعية البريطانية خلال فترة ما بين الحربين

نارت مشكلة المتعطلين عقب الحرب الماضية واشتدت حدتها حتى غدت مسألة قومية لها خطرهما وأثرهما في حياة البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم تطلبت الحال الأخذ ببضعة اجراءات حاسمة لمجابهتها منها ما يتعلق بالاستثمار ، والتحول الصناعي ، ومنها ما يختص بوسائل تدريب العمال . بيد ان هذه الاجراءات عجزت عن ان تحل المشكلة وتحتث أصولها لجسامتها . فاتخذت الحكومة الخطوات القمينة بالمحافظة على مستوى معيشة المتعطلين عند مستوى مقبول من غير الاستعانة بقانون مكافحة الفقر . وفي عام ١٩٢٠ اتسع أفق التامين ضد التعطل ، فوسع ثلثي الطبقة العاملة من السكان . وفي عام ١٩٣٤ انشئت مصلحة جديدة لمساعدة العمال الذين لا ينتفعون بالتامين ضد التعطل . وفي عام ١٩٣٦ صدر قانون تأمين العمال الزراعيين ضد التعطل

ولعل خير ما زجيه ايضاحاً للتطور الاجتماعي البريطاني واتساع نطاقه دراسة تكاليف الخدمة الاجتماعية في خلال المدة من ١٩٠١ الى نشوب الحرب الحاضرة . ففي عام ١٩٠١ أنفق أربعة ملايين جنيه لتعويض العمال وإعانة الفقراء . وفي عام ١٩١٤ - ١٩١٥ اضيفت



اليها معاشات المنحة non-Contributory Pensions (وهي التي تمنح للأفراد دون ان يكونوا قد ساهموا في دفع اقساط اشتراك فيها) والتأمين الصحي، والتأمين ضد التعطل، فزادت النفقات الى خمسة وعشرين مليون جنيهه واتسع نطاق المشاريع الاجتماعية. غدا المبلغ المنفق الى ١١١ مليون جنيهه في عام ١٩٢١ - ١٩٢٢. واخيراً وصلت المبالغ التي صرفت نقداً على ذمة المساعدة الاجتماعية الى ٢٣٦ مليون جنيهه عام ١٩٣٨ - ١٩٣٩. ولقد اشتملت ميزانية ١٩٣٨ - ١٩٣٩ على مبلغ ٥٠٠ مليون جنيهه للخدمات الاجتماعية بأنواعها وبالبحري يصيب كل ساكن ما قيمته عشرة جنيهات من مجموع المبالغ المخصصة من خدمات اجتماعية أو أن أكثر من عشر الدخل القومي للامة ينفق على رفع مستوى احوالها الاجتماعية

\*\*\*

#### ٤ - الحروب الحاضرة وتطور الخدمة الاجتماعية

تعدلت أساليب الخدمة الاجتماعية البريطانية في خلال الصراع العالمي الحاضر. فان اصابة المدن البريطانية بالقنابل وتدمير المنشآت الخاصة قد ألقت على كاهل الادارات المعنية بالمسائل الاجتماعية والجمعيات الخيرية العديدة أعباءً جديدة جسيمة. كما انه في مارس سنة ١٩٤٠ انتفع النساء المؤمن عليهن وزوجات الرجال المؤمن عليهم بمعاشات الشيخوخة ومنحت معاشات اضافية لأرباب المعاشات من المسنين الذين يحتاجون الى مزيد من المساعدة

ونتيجة لهذه التغييرات أدخلت ٣٠٠ الف سيدة في محيط أرباب المعاشات. وثمة نيف ومليون مسن يتلقون معاشات اضافية في الوقت الحاضر

بيد انه رغمًا عن تشعب وسائل الخدمة الاجتماعية وامتداد آثارها الى كافة النواحي الاجتماعية للبلاد فانها غدت مقصرة عن مواجهة تطورات هذا العصر الاجتماعية واتجاهاته الاقتصادية. فان ادارة التأمين الاجتماعي وما يلزمه من خدمات كما هي الآن على حد قول سير وليم بيفردج - تتولاها جملة ادارات متباينة تنتهج مبادئ مختلفة. وهي تسدي خدمات لها قيمتها ولكن هذا يكلفها مالا وجهداً فضلاً عن وجود كثير من وجوه النقص التي تستدعي العلاج» الامر الذي حدا الى تأليف لجنة بيفردج في يونيه ١٩٤١ لتقصي أسباب النقص الاجتماعي في بريطانيا العظمى على ضوء التطور الاجتماعي والاقتصادي العالمي بصفة عامة والبريطاني بصفة خاصة» وهذا هو موضع بحثنا التالي ان شاء الله



# باب المراسلة والمنظرة

## البرقيات

### والهندسات غير الاقليدية

قرأت ما كتبه حضرة الاستاذ خليل سالم في مقتطف نوفمبر الاخير ردًا على مقالتي في العدد السابق من المقتطف بشأن هندسة اقليدس . فأرجو منه ان يتدبر جيداً ما كتبه سابقاً وما اقتبسه من كتابي النسبية لظنه ان هذا مناقض لذلك . فاذا أنعم النظر جيداً في الجانبين لا يجد تناقضاً

لم أجد الهندسات غير الاقليدية ولا انتقدتها . وانما عنيت ان هذه الهندسات المتأخرة لا تنقض هندسة اقليدس ( الهندسة المنسوبة الى اقليدس سواء كانت له او سبقه غيره اليها ) وانما هي نمو لها ، كما ان جاذبية اينشتاين ( التي علل بها ادينغتون تمدد الكون ) لا تنقض جاذبية نيوتن بل هي نمو لها كما قال اينشتاين بنصه :

« كل ما جاء بعد نيوتن من النظريات الطبيعية لم يكن الا نموًا طبيعيًا لنظرياته » .  
يعني لم يتقضاها . وكذلك كل ما جاء من ضروب الهندسات بعد اقليدس كان ارتقاء في الهندسة على كتفي هندسة اقليدس . فهل في الهندسات الاخيرة ما ينقض هندسة اقليدس ، اللهم في عالم الخطوط والسطوح المستقيمة لا في عالم المنحنيات المتحركة في الزمان والمكان — العالم الذي استنبطت له هندسة ريمان وزملائه

\*\*\*

لا اعني ان يكون اقليدس سيد الفكر الحديث — كفي ان يكون سيد فكر عصره — بل اعني ان لا يضرب بهندسته عرض الحائط . وهي الاساس واليها المرجع . واذا لم يمر طالب الرياضيات بها فلا يصل الى الرياضيات العليا التي نمت على غصنها . نخاف ان الافراط في غمط فضل الهندسة الاقليدية يقضي اخيراً الى اهمالها فتعقوض اركان الهندسة برمتها ويغض الطلاب عن دواستها بالعناية اللازمة



## البرهيات

بقيت لي كلمة في منشأ البديهيات استأذن القراء والاستاذ خليل سالم في قولها لئلا يحتج على ما قلت فيها في المقال السابق  
ليست البديهية نبضة داخلية في عقولنا بل هي معرفة ككل معرفة تطرأ على عقلنا من الخارج يصدرها انفعال دماغي من فاعل خارجي . هي ارتكاز فكرة في العقل من جراء تكرر ملاحظته امرأ واحداً منذ شرع، أي العقل، يتكوّن في الطفولة  
سقوط التفاحة من الشجرة الى الارض وعدم اندفاعها الى فوق هو بديهية عند كل انسان . ولكنه لم يكن كذلك عند نيوتن . بل أعمل نيوتن فكره في سبب سقوطها الى أن توصل الى قانون الجاذبية

وكذلك اذا سألت أي عامي ساذج لماذا ينحدر الماء من الجبل الى البحر استجبتك لهذا السؤال . وقال لك هذا أمر طبيعي ، أي بديهي  
واذا سألته لماذا تشرق الشمس من الشرق لا من الغرب استغرب سؤالك . وقال لك هذا شيء طبيعي . ولكن المنقف يقدم لك سبباً له  
وهناك ألوف من البديهيات عند الناس لأنها رسخت في أذهانهم كأوليات منذ الصغر لتكرارها . فأبده البديهيات عند الناس هي معلومات اكتسبها بتكرار الملاحظة حتى ان كثيراً منها صارت كأنها خلقت فيهم أو كجزء من عقليتهم . ولذلك اذا طلبت برهاناً عليها يتحIRON كيف يبرهنون لشدة وضوحها في أذهانهم . وأصعب شيء على العقل الايضاح الواضح

\*\*\*

وهناك أوليات بديهية ليست إلا تعريفات . فقولك الخط المستقيم أقرب مسافة بين نقطتين، يعني ان الناس اصطلاحوا على تسمية أقرب مسافة بين نقطتين بالخط المستقيم . فالجملتان :  
المعرف والتعريف رد فان لمعنى واحد

وقولك اذا كانت كمية واحدة تساوي كلاً من كيتين فالكيتان متساويتان ، انما هو تحصيل حاصل . وهكذا قولهم في معرض التأكيد : اثنان واثان اربعة فهو كعد العددين ( ٢ و ٢ ) واحد اثنان ثلاثة اربعة هكذا ٣ و ٣ و ٤  
وكذلك سموا الخطين اللذين في سطح واحد لا يلتقيان خطين متوازيين . فهو تحصيل حاصل أيضاً . والنسكة في اختلاف التعبير



وزبدة الكلام ان البديهيات مهما كانت فانما هي مكررات اختبارنا وليست خلقة فينا . وانما صارت كأنها هكذا من طول الملاحظة ومهما كانت البديهيات بسيطة أو تحصيل حاصل فيمكن تفسيرها . والتفسير يُعتبر كأنه برهان لها .  
واذا كان جميع الناس اختبروا أمراً واحداً اختباراً واحداً حقاً لهم أن يقولوا هذا أمرٌ بديهي . هذا أمرٌ طبيعي . ولكن لا يتحتم أن يكون يقينهم هذا صواباً فقد تقرأ عليه ملاحظة جديدة تنقضه كما كانت عقيدة دوران الشمس حول الارض بديهيّة عند الاقدمين فنقضتها بعد ذلك ملاحظات العبقرين المتأخرين وامتحناتهم

— وهنا همسة يمني وبين الاستاذ خليل : — حبذا ان لا تستشهد يا صاحبي بأقوال هويتهد على الرغم من احترامي لهذا الفيلسوف ، لانه معروف عنه انه يكتب ما لا يفهم . وهو نفسه يقول ان الموضوع الذي يفهم بسهولة ليس بموضوع ذي شأن لان الفكر السامي هو ما لا يفهم الا بتفكير عميق . اقرأ ما كتبه عنه الفيلسوف جود Joad في كتابه « المرشد الى الفلسفة » فما تورع هذا ان يقرع به . وحبذا الحال لو كنت تشرح لنا ماذا يريد من قوله : « ان البديهيات شروط هندسية »  
نقولاً الحداد

## معجم اللفاظ الزراعية

بالفرنسية والعربية

للأمير مصطفى الشهابي

ذكر الأمير مصطفى الشهابي في مقدمة معجمه النفيس انه يرجو من العلماء القادرين على تمييز بعض الاصطلاحات العلمية عن بعض أن يدلوه على الهفوات التي يعثرون عليها . واذا كان لديهم اصطلاحات ترجح التي وضعها او حققها يكون أول من يقتبسها في الطبعة التالية . وتلك الروح العلمية المتواضعة البعيدة عن الادعاء جرأتني أن أذكر بعض ملاحظات عننت لي في أثناء مطالعتي لهذا المعجم . فاذا فسح سعادة الأمير صدره لي فانه يسعدني ان أكتب اليه فيما بعد كتباً خاصة اذا شاء . واليوم اكتفي بنشر قدر يسير من ملاحظاتي وهي :

(١) قال في ص ١٧ مادة acajou ( تطلق الكلمة الفرنسية خاصة على البلاذر anacardier وعلى الآبنوس Swietenia Mahagoni ) والذي أعرفه ان آبنوس هو بالفرنسية



bois noir و ébène أي الخشب أما شجره فاسمه ébénier وفي لغة العلم Diospyros Ebum كما ذكر سعادته ذلك صواباً في ص ٢٣٣. أما Swietenia Mahagoni فليست الآبنوس ولكنها شجر الماهوغنة وهو اسم اميركي أصلي لهذا النوع من الشجر. وكلمة Swietenia هي نسبة الى العالم Gerard Van Swieten النباتي الذي عاش بين سنتي ١٧٠٠ - ١٧٧٢

(٢) ذكر في ص ١٥١ مادة chauve-souris ان مقابلها العربي خفاش . طير الليل . وأضيف أن عرب الجزائر يسمونه «بوجليدة» وكان الاولى لسعادة الأمير ان يشير الى هذا ما دام معجمه القيم قد وضع للناطقين بالضاد في البلاد العربية كما صنع في مادة Citrus Medica (٣) ذكر في ص ٢٥٩ مادة étang ما يقابلها بالعربية وهو حوض وبركة . وأنا معتقد ان ما ذكره سعادة الأمير لا على سبيل الحصر ولكني أرى ان كلمة مأجل على قلة شيوعها أولى بالذكر في مثل هذا المقام فقد وردت في كتب اللغة بمعنى الحوض الواسع يجمع فيه الماء وجمعها ما جل

(٤) ذكر في ص ٢٣٨ مادة écurie مقابلها العربي اصطبل واسطبل - وحذا لو ذكر ان اصلها باليونانية stavleon<sup>(١)</sup> لبيان انها ليست عربية الأصل وقد ردّ سعادته في بعض مواضع من المعجم بعض الالفاظ المعربة الى اصولها الأجنبية كما صنع في مادة Aconitum (٥) جاء في ص ١٢٦ مادة Camomille ان مقابلها العربي بابونج فقط على حين انه في كتب اللغة يسمى ايضاً القحوان والاقحوان ويعرف عند قدماء العرب بخاميلون كما ذكر ذلك معجم البستان . وخاماميلون كما ذكر الدكتور احمد عيسى بك في معجمه . ومن اسمائه ايضاً القراض وواحدته قرّاصة . والعوام يقولون القرّيص كجَمْدِيز . والبابونج معرب « بابونه » عن الفارسية

وجاء في لسان العرب قوله : الاقحوان هو القرّاص عند العرب وهو البابونه والبابونك عند الفرس . هذا ولا يفوتني أن أشيد بفضل الامير الجليل في وضع هذا المعجم النافع الذي استنفد سنين عديدة والذي هو اول معجم من نوعه في اللغة العربية للالفاظ الزراعية نفع الله بالامير العلم والعلماء في الأقطار العربية

محمود مصطفى الديماطي

(٢) اضطررنا لاستعمال الحروف اللاتينية بدلاً من اليونانية لتمنر وجودها في المطابع



# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## المعادن العجيبة

### الفيتاليوم والاسنان الصناعية

لقد كان للابحاث الكيميائية الدقيقة الفضل في أن توجه الأنظار الى « معادن خاصة » كانت منذ سنوات تعدُّ نادرة الوجود أما الآن فقد أصبحت لا غنى لأحد عنها ، فعشرات منها تجد مكانها في الصناعة ، وبعضها تسمو قيمتها طالياً فتتوارى خلف باب عليه أقفال ضربتها ادارة المراقبة العامة

فمثلاً الفيتاليوم ، وهي سبيكة غير متداولة تصنع من معادن كلها معروفة في الصناعة هي الكوبلت والكروم والموليبدنيوم . وان صلابة الفيتاليوم ومقاومته للضغط وقساوته وعدم قابليته للتفاعل كيميائياً اذا لامس شرائح الجسم كلها خواص جعلتها خير سبيكة لعمل الاسنان الصناعية . . . وهذه الخواص دفعت الجراحين فراحوا يختبرون الفيتاليوم كعبدن لعمل اللوالب والمسامير والجسائر الداخلية لربط العظام المكسورة ولعمل الصفائح لتجبير كسور الجمجمة . ومن قبل كانت سبائك أخر نقية تستعمل في مثل هذه الاغراض منذ الحرب العالمية الاولى ، غير انها كانت تسبب تهيجاً — بعد زمن ما —

يستلزم اخراجها ، ولكن الفيتاليوم يمكن أن يبقى في الجسم أبداً

وسبائك الفيتاليوم الصلبة التي تقاوم الاحتكاك تجد مبيلمها الى صناعات مختلفة ، وهي الآن تدخل في صناعة آلات الحرب الهامة

### المعادن وصناعة الزجاج

ثم ان مركبات من المعادن النادرة تستعمل الآن في عمل الزجاج ، فمركبات السيلينيوم تدخل في تلوين الزجاج الاحمر والاسود . ومركبات أخرى ركبتهما شركة « إيستمان كوداك » لتكون عدسة إبصارية لآلة التصوير تعادل سرعتها في الالتقاط ضعف سرعة أي عدسة إبصارية أخرى استعملها سلاح الطيران من قبل . وهذا الزجاج الجديد عمل من معادن نادرة هي التانتالوم والتنجستن واللاتانوم ومركباتها . وهو لا يحوي رملاً مع ان الرمل كان مادة أساسية في صناعة جميع انواع الزجاج الابصاري وغيره . على ان صناعة إيستمان لهذا النوع النادر من الزجاج أحدثت انقلاباً يعدل ما كان يحدثه اكتشاف صناعة للصلب من غير الاستعانة بالحديد والعديدات المصنوعة من هذه المعادن



الصلب النقي زاد صلابته في درجات الحرارة العالية . وقبل ان يكشف عن هذه الخاصية فيه كانت إحدى منافع الصناعة القليلة انه عامل يمنع كربون الصلب من ان يترسب، واذن فهو يقلل زيادة تأكل الصلب الحبيبي وانه لبيدو أن مقداراً ضئيلاً من الكولبيوم يستطيع أن يقوم مقام التنجستن والمولبدنيوم في صناعة صلب الكروم والنيكل ان عز وجودهما

### سبيكة البزموت ومنافعها

اما البزموت فهو كالماء يتمدد عند التجمد على حين أن جل المعادن ينكمش عند التجمد وهذه الخاصية يمكن الانتفاع بها في سبائك البزموت مع الرصاص والكاديوم والقصدير فدرجات انصهارها منخفضة فهي اذن تنصهر في سهولة لتكون سبيكة

وواحدة من هذه السبائك « السبرونيد » تستعمل في ملء آلاف من الاقدام من الأنابيب ذات الفائدة في سلاح الطيران فتستطيع أن تنثني بدون أن تعاني شرخاً أو كسراً أو تحطياً، وان أنبوبة تملأها هذه السبيكة تنثني كأنها مصمتة

وخواص سبيكة البزموت التي تساعد على ثني الأنابيب هي :-

(١) أن درجة انصهارها منخفضة فهي اقل من درجة غليان الماء مما يجعلها سهلة التداول والاستعمال

النادرة تجعل المصورين الطيارين قادرين على التقاط الصور في ضوء خافت لا تعوقهم السرعة الفائقة ولا العلو الشامخ ثم لا تفقد العدسة شدة الايضاح ولا قوة التصوير

### البلاتين في الحرب

ولقد اتسعت فوائد البلاتين الصناعية وتشعبت طرق استعماله مما حدا بالحكومات الى تحديد المقادير المنصرفة منه . وان تقدم صناعتي الاطعمة والفيثامينات ، حيث يجب أن تزال كل حالات التحات والتفاعلات ، أتاح للبلاتين وسبائكه فوائد حمة ذات قيمة . ومن أكبر منافع البلاتين في الحرب فائده الكيميائية كعامل مساعد في تحضير الحامض النيتريك والحامض الكبريتيك ، وهو يستعمل في صناعة مغازل الخيوط الصناعية لأنه يقاوم الاحتكاك ، كما انه يستعمل في أعمال كيميائية لا حصر لها

### البلاديوم يحل محل البلاتين

أما عمل البلاديوم الرثيمي في أثناء الحرب فهو أن يضطلع — الى حد ما — بما كان يضطلع به البلاتين في الجوهر . وان فائدة البلاديوم الذاتية هي في مقاومته الاحتكاك وقابليته للطرق ومشابهته في المظهر للبلاتين لهذا فهو يستطيع ان يحل محله

### الكولبيوم في تقسية الصلب

هذا وان عنصر أجديداً نافعاً في صناعة الصلب — هو الكولبيوم — ان أضيف الى



ستيل حديثاً أنه باضافة السلينيوم الى سبيكة الانقار وفرت حوالي ٧٢٪ من الزمن الذي نحتاج اليه في بعض عمليات القطع في حين انه لا يؤثر في منافعها الحرارية التي تجعلها صالحة للاستعمال في الراديو والمنظومات الالكترونية وفي ضابطات الطائرات والترموستات .. الخ والتيليريوم زميل السلينيوم يستطيع أن يزيد من صلاحية الصلب في عمل الآلات دون أن يؤثر في قوة مقاومته للاحتكاك . واذا أضيف الى الرصاص زاد من صلابته ومن مقاومته للاحتكاك

وكريبدات التانتالوم والتنجستن والسترونتيوم كلها ذات منزلة عالمية في الصناعة ولها شأن هام في عمل الاسنة والآلات القاطعة التي تستعمل في تهيئة آلات الحرب ، والى جانب ذلك فالتانتالوم يسد حاجات جمة لما فيه من قوة مقاومة التآكل وقابليته للطرق والثني وجودته لتوصيل الحرارة والكهربائية كل ذلك جعله ذا مقام عظيم في صناعة الراديو وصناعة الملفات البخارية والاسنان الحرارية والمكثفات وغيرها

### البريليوم فلز عجيب

أما البريليوم فلم يعان من الاغضاء ما طناه غيره من المعادن ، بل انطلق فلزاً عجيباً منذ ولادته لا يكفي المتاح منه لحاجات طالبيه وهو يضم مجموعة من الخواص النادرة فهو أنقل من المغنيسيوم بقليل ، وكثافته ٣٠٤

(٢) أن تمددها اثناء التجمد يجعلها تملأ جميع الفجوات والشغرات التي في الجدار الداخلي للانبوبة ، وهذا التمدد لا يهشم الانابيب الجيدة السبك

(٣) أن خاصية السيولة المتدفقة تجعلها قابلة ان تنساب من اي ثقب مهما كان صغيراً (٤) حين ينتهي ثني الانبوبة يمكن اراحة السبيكة بدون كبير عناء فيكفي غمر الانبوبة بما فيها في ماء يغلي وحين يبرد الماء تؤخذ السبيكة لتستعمل مرة اخرى

وهكذا انتشر استعمال سبيكة البريموت والرصاص والقصدير والكاديوم في عمل كثير من الاجهزة التي تضبط الحرارة لأن نقطة انصهارها منخفضة

### السلينيوم الحساس بالضوء

يكثر عنصر السلينيوم والتيليريوم في خامات النحاس ، وهما يخلطان في سبائك النحاس لعمل العوازل الكهربائية وتستعمل مركبات السلينيوم في عمل المنقيات الكهربائية ثم في صناعة الفخار كزيلات اللون ، وفي الزجاج لتلوينه باللون الاحمر . وان قوة حساسيته جعلته صالحاً لاستعماله أعمدة للتصوير الكهربائي

وان سبيكة من السلينيوم والصلب أحدثت تحسناً كبيراً في خواص الصلب فأخذ ينتشر انتشاراً واسعاً ليكون مادة أساسية في صناعة الآلات . ولقد اكتشفت شركة كاربنتر



الالومنيوم، وقابليته للسحب عظيمة وان قليلاً منه يضاف الى بعض المعادن كالنحاس والنيكل ليسبغ عليها خواص ذات قيمة عملية كبيرة ما كانت لتوجد فيها قبل اضافته اليها

واحدى منافعه الجليلة انه يستعمل منافذ تنفذ منها أشعة اكس لانه يُنفذها بسهولة أكثر مما يفعل الزجاج العادي في انفاذ الأشعة المرئية . وان أكبر كمية منه تستهلك هي التي تضاف الى سبائك النحاس لتجعله صلباً قاسياً يقاوم الضغط والبلى ، فهو للنحاس مثل الكربون للصلب

ولهذا فان سبيكة البريليوم والنحاس تستعمل في صناعة اللوالب والرقوق المعدنية . هذه اللوالب تقاوم فقد المرونة تحت تأثير الضغط الشديد . وتلك خواص دفعت صلاح الطيران وصلاح الاشارة الى أن يعتمد عليها في كثير من حاجاتها

وان قليلاً من البريليوم يضاف الى النيكل يكسبه خواص طبيعية تبذل الخواص التي يكتسبها النحاس منه فهو يستعمل في اللوالب التي تقاوم التحات وبار الحقن والآلات الجراحية

### حاجة الانسان الى الاملاح المعدنية

لطالما ذكرت الاملاح المعدنية الموجودة في غذاء الانسان بطريقة ليس فيها الدقة ولا التحديد ، غير أن الماجور زولتون ورتشاوتر رئيس قسم الطب المدني والصحة الصناعية في القسم الطبي بالجيش الامريكي أعلن أن غذاء الانسان لا بد أن يحتوي على الفيتامينات مع الكربوايدرات والدهنيات والبروتينات ولكن الماء والأملاح تشغل تحيزاً ضئيلاً فيها . هذا ولو ان الجسم السليم احتاج الى ما يقرب من ١٥ نوعاً من العناصر

المعدنية ، وقد تكون الحاجة الى كثير منها محدودة بحيث اذا قلت الكمية المتناولة من واحد منها بدت أعراض مرض آخر وان الحاجة الى هذه المواد المعدنية تختلف بين من وسن ، فالطفل — قبل أن يولد — تحتوي أليافه على كمية كبيرة من الصوديوم تنقص اذا ولد وتقل كثيراً عند الشاب . ثم ان المواد الاساسية في تكوين العظام — الكالسيوم والفسفور — تكون في الاطفال أقل منها عند الكبار

### اليود

تضخم الغدة الدرقية هو المرض الوحيد الذي لا يصاب به الياباني لانه يعتمد في غذائه على كثير من حشائش البحر وهي تنضم على كمية كبيرة من اليود ، واليود

بحميه من هذا المرض . واذا كانت هذه حسنة من حسنات اليود الطبية ، فهو أيضاً ضروري لوقاية الجسم من كثير من الامراض وهو أساس في بناء صحة عقلية طيبة



## قوة الصوت

لا ريب ، فنحن نعيش — منذ الحرب الماضية — في بيئة جديدة ، فنذ انتشار الراديو ومكبرات الصوت ، والخطب العامة والفشرات والموسيقى وما يدور في داخل المسارح والملاعب والمدارس ما فتئت الأصوات تندفق على مسامعنا . على ان أكثر الأصوات ذبوعاً بيننا هو صوت الكلام ، فكيف تكون القوة الكامنة في صوت كلام الانسان

فاذا قلنا ان القوة الناتجة من صوت كلام خمسة ملايين شخص اذا اجتمعوا تعادل قوة مصباح كهربائي قوته ٥٠ وات ، أعطينا فكرة غير واضحة عن مقدار ضعف قوة الصوت . فلعلّ مزماراً قوياً يرسل نغماً قوياً — الى دقائق — يشع ما مقداره وات واحد . وان مكبراً للصوت في ملعب قد يعادل قوة صوت ٥٠٠٠٠٠ متكلم . . . قوة لا تتجاوز ١٠ وات

وان الفم والاذن معاً هما أداة السمع في جسم الانسان ، وهما معاً جهاز ضعيف بالنسبة الى أجهزة المشي والقفز والجري ، لأن الفسائض من قوة الصوت العادي يربى كثيراً على ما تحتاج اليه الاذن للسمع ، فاذا استطعنا أن نجسم قوة كلمات محادثة عادية ثم نجزّئها أجزاء كل جزء على قدر ما تطبقه الاذن ، إذن لا استطاعت مائة الف مليون اذن أن تسمع ، وهذا العدد — طبعاً — يعادل

عدد سكان الكرة الارضية خمسين مرة واذا وجد الانسان في نفسه الصبر على أن يتناول طابعاً من طوابع البريد — وهو لا يزن شيئاً — فيقطعه الى ٥٠٠٠٠ قطعة ثم قذفت هذه القطع الصغيرة على طبلة الاذن من مسافة بوصة واحدة وبمعدل ١٠٠٠٠ قطعة في الثانية ، لاثرت في الاذن كما لو كانت تسمع مدفعاً رشاشاً . ولو أصبحت قوة الصوت ٠٠٠٠٠٠ من الوات لأصاب الاذن ضرر من شدة ما تعاني من قوة الصوت وان فرقة كاملة كبيرة تعزف على الناي والبيانو لا تزيد قوة أصواتها على ٧٥ وات ، وهي قوة مصباح كهربائي متوسط وصفارة كريسلر بل المثبتة على قمة بناء شركة الراديو الاميركية ( ر . ك . ا ) بنيويورك والتي تديرها آلة تدور بالبنزين قوتها ١٤٠ حصاناً هي صفارة تدور بالهواء المضغوط . وهذه الصفارة تستطيع أن ترسل صوتاً يعادل صوت أربعة آلاف مليون صوت رجل وهي تحدث أقوى صوت مستمر أرسلته ، يوماً ما ، آلة صناعية ، فهو يعلو على هزيم الرعد ولم ترتفع قوة صوت على صوت هذه الصفارة إلا انفجار بركان كراكاتوا في المحيط الهندي الشرقي سنة ١٨٨٣ ولقد قيل ان صوت هذا الانفجار سُمع على مسافة ٣٠٠٠ ميل . وهذا صوت أعلى بكثير من صوت



صفارة كريسلر بل لأنه قد ثبت ان صوت الصفارة لا يسمع إلا من مسافة ٧٥ ميلاً. فهل يمكن أن يرتفع صوت صفارة أو مكبر صوت ليجتاز المحيط فيسمع من الشاطئ الآخر؟ لا ريب، فإنه سيكون صوتاً مزعجاً.

والجواب الطبيعي على هذا السؤال هو «لا» رغم ان انفجارات المدافع التي من عيار ١٢ بوصة تسمع من الناحية الأخرى عبر المانش وان كان أقصى مدى لها هو ١٠٠ ميل

### شلل الاطفال وعلاقته بالطعام

والآن الى أي مدى تنطبق نتائج التجارب التي أجريت على الفيران .. الى أي مدى تنطبق على الانسان؟ للاجابة عن هذا السؤال ابتدأت سلسلة جديدة من الابحاث تقومها المؤسسة الاهلية، بعضها على القروود لأنها أقرب شبيهاً للانسان في تركيبه. على أنه وجد أن لا الملح ولا فيتامين ب ١ يستطيع أن يقلل من مقاومة الفأر للمرض

\*\*\*

ولقد ختم الباحثون أبحاثهم بتقرير علمي مشترك جاء فيه « ان تحديد مقدار الطعام المتناول أو مقدار الكربوايدرات يؤخر من ظهور المرض على الفيران »

واذن يبدو أن الطعام الذي يحوي مقادير كبيرة من السكر والنشا، وأنواع الطعام التي تولد في الجسم قدرأ كبيراً من الحرارة... كل اولئك يشجع ميكروب المرض

وثبت ان الفيران التي قاومت المرض أكثر من غيرها كانت تتناول مدى شهر مقداراً من الطعام يعادل ٤٠ ٪ من طعامها العادي

لقد ثبت ان نوع الطعام ومقداره مما يتناوله الاطفال يؤثران في قوة مقاومتهم لمرض شلل الاطفال، فان تجارب كثيرة أجريت على جماعة من الفيران فوجد انه اذا قلت مقادير الطعام الذي يتناوله الفأر عن المقدار الذي يحتاج اليه ازدادت قوة مقاومته للمرض، وان قوة المقاومة لهذا المرض لتبدو في أوجها اذا حُدِّدت مقادير الطعام مدى ثلاثين يوماً

هذه التجارب التي قادت الى هذه

النتيجة، قام بها جماعة من العلماء هم البروفسور فرنز هينل، والدكاترة كلير فومستر وجيمس جونس وفريدا دورفان، وجميعهم من مدرسة الطب في بنسلفانيا من أعمال فلادلفيا

وان النقص في فيتامين ب ١ وحده لكفيل بأن يزيد من قوة مقاومة الفيران للنوع الخاص بها من هذا المرض ولقد دعمت هذه الابحاث منح مالية من المؤسسة الاهلية لشلل الاطفال وما من عالم واحد استطاع أن يقول إن تحديد الطعام يحول بين الاطفال وبين المرض ان تقشى صيفاً





# مكتبة المقتطف

مجلة المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٤٣

مراجعة للدكتور بشر فارس

وصلتنا الأعداد الستة لمجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي لسنة ١٩٤٣ ( المجلد الثامن عشر ) . فسرنا اطراد خروج هذه المنشرة النشطة الضامنة لأقلام عليّة أهل العلم والفضل في الشرق العربي عامة وفي عاصمة بني أمية خاصة . ورأينا أن نطلع قراء هذا الباب من المقتطف على آثار تلك الاقلام مما فيه طرافة أو فائدة أو تحقيق

— الجزء الأول والثاني : للامير مصطفى الشهابي نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول تعقب فيها طائفة من المصطلحات التي وضعها مجمع فؤاد الاول للغة العربية وأقرها في الدورات الست الأولى. وفي هذه النظرة ما خذ زاهاً صائبة . من ذلك أن الامير العالم يريد التفرقة بين المِجْهَر والمَجْهَر فيجعل الأول لكلمة Microscope والثاني لكلمة Loudspeaker على حين المجمع وضع المجهار للكلمتين الافرنجيتين جميعاً . ومن ذلك أنه يقول ان كلمة Barometer يجب أن يعبر عنها بمضغط الجو ، لا بالمِضْغَط فقط لأن آلات الضغط كثيرة فلا بد من التخصيص ، كما قيل مضغط الغاز لكلمة Manometer

وللشيخ عبد القادر المغربي تصحيحات لكتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي الذي نشره الاستاذ محمد كرد علي في دمشق . وتشف هذه التصحيحات عن دراية وتنبه ، مثال ذلك ما جاء في الكتاب ص ٥٥ س ١٩ : « وكان في قصر ابن طولون مجلس يشرف منه يوم العرض فينقذ منه من يدخل ... » فصحيح الشيخ العالم وقال « فينقذ منه » أي يديم النظر اليه باخلاص حتى لا يفطن له ( عن « أساس البلاغة » )

ولم يخأيل عواد من بغداد مقالة عنوانها « العطلة الاسبوعية في الدولة العباسية »



وخلاصتها أن الدواوين كانت تغلق والأعمال تقطع يوم الجمعة منذ صدر الإسلام . فلما جاء المعتضد بالله ( ٢٧٩ — ٢٨٩ ) زاد يوماً آخر هو يوم الثلاثاء وجعله للراحة واللهو والغناء على حين يوم الجمعة كان للصلاة وذكر الله . وكان بعض الظرفاء وأهل البطالة يشاركون اليهود في عطلة يوم السبت فيلهمون ويشربون . وأما الأولاد فكانت عطلتهم المدرسية يوم الثلاثاء زيادة على الجمعة . ثم خرجت من الثلاثاء إلى الخميس بعد المائة الرابعة . كل ذلك استناداً إلى أخبار وأشعار متفرقة

ولمحمد أحمد الدهان استدرأكات على تاريخ البيمارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى وهي تستأهل الالتفات لما ساقه المستدرك من الأدلة المستخرجة من بطون كتب التاريخ خاصة . مثال ذلك تصحيح لبعض أسماء البيمارستانات وتعيين مواقع طائفة منها وضبط نصوص تتعلق بها أو بيناتها

— الجزء الثالث والرابع : لسليم الجندي بحث في ديوان منسوب إلى أبي العلاء المعري ( التنوخي ؟ ) مخزون في « الظاهرية » بدمشق ويقصد الباحث إلى تحقيق النسبة وقد تلمظ لذلك فساق ما ثبت ثم ما ينفي . والرأي عندنا أن الديوان محمول على أبي العلاء الكاتب المشهور وليوسف العش — أمين دار الكتب الظاهرية بدمشق وهو شاب نشيط على اطلاع ودربة في شؤون الخزانات ، وقد أنسنا به في دمشق هذا الخريف — بيان عن مخطوط لدمشقي لعله ، بغالب الظن كما يقول الأمين ، محي الدين النعماني ( ٨٤٥ — ٩٢٧ ) مؤلف « الدارس في أخبار المدارس » . وهذا المخطوط أشبه شيء بمذكرات يومية تبتدىء بثامن شوال سنة ٨٨٥ وتنتهي — مع سقط طفيف — عند ثاني جمادى الآخرة سنة ٩٠٨ ، يتلوها تسع عشرة ورقة من السنين التي تعاقبت بين ٩١٠ و ٩١٤ . وميزة هذه المذكرات أن صاحبها دونها لنفسه فلا تخرج ولا تخوف ولا تلبس ولا تلويح . وفائدتها أنها تثبت عادات وترسم صوراً للحياة الاجتماعية في ذلك العصر قد درجت ودرست . إلا أن لغة المخطوط رديئة سوقية أحياناً

— الجزء الخامس والسادس : ولعباس العزاوي تنقيب عن « التاريخ العظيم » وهو كتاب في التاريخ لمحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن زار ، أبي عبد الله التنوخي الحلبي المعروف بابن العظيم من علماء المائة التاسعة . وهو من المؤرخين المهمين . وأما كتابه هذا فقد اهتمت إليه المنقب في خزانة قرا مصطفى باشا الرزيفوني ورقم ٣٩٨ من خزانة بايزيد العامة . وهو يصفه لنا وينقل مقدمته ثم يذكر استشادات ابن خلكان بفقر منه وبين علاقته بالتواريخ الأخرى ويسرد مدارج مباحثه ويسوق مراجعه ويبيّن أنموذجاً منه .

وغرضه في كل ذلك التعريف والتنبيه



وللمستشرق اسرائيل ابي ذؤيب تحليل لكتاب «المصايد والمطارد» لكشاجم الشاعر الاديب الطباخ فيماروي ، وهو من المبرزين في النصف الاول من المائة الرابعة . وكتاب المصايد والمطارد لا يزال مخطوطاً . منه نسخة في جامع الفاتح بالاستانة وأخرى في زنجان بايران . وموضوعات الكتاب ، على ما ذكر المحلل ، رأي الشريعة في الصيد ، فضائل الصيد ، بحث في الجوارح الأربعة : البازي والشاهين والصقر والعقاب ، أمراض الجوارح وعلاجها ، أنواع المطارد مثل الكب والثعلب والخنزير . وأثبت المحلل بعد ذلك مصادر كتاب كشاجم من منظوم ومنثور ثم بين العلاقة التي بينه وبين كتاب الحيوان للجاحظ . وما ذكره في الخاتمة ان لكشاجم نظراً عميقاً في مسألة الغرائز الجنسية فهو يتكلم عليها لاظهار طبائع دقيقة للحيوان وميولاً فيه وأهواء كامنة وبارزة

ونشر صلاح الدين المنجد نبذة عن كتاب الديارات للشابشتي المتوفى سنة ٣٩٩ أو ٣٨٨ ورد فيها وصف « دير سمالو » وذكر أخبار لخالد الكاتب . ومما ننبه اليه ان هذا الوصف ما لظنه جاء في « الديارات النصرانية في الاسلام » لحبيب زيات (مجلة المشرق السنة ٣٦-ج ٣) وقد اعتمد الناشر نسخة مخطوطة كتبت سنة ٦٣١ ، قال انها فريدة ، مصورة عن نسخة أخرى ، ولكنه لم يعين النسخة الاصلية . فما عرفنا هل هي النسخة المخطوطة المحفوظة في خزانة برلين تحت رقم We. ٨٣٢١

— الجزء السابع والثامن : أثبت عبدالله مخلص مسرداً على حروف الهجاء أدرج فيه أسامي التواليف الاسلامية في العلوم السياسية والادارية وذكر اسماء مؤلفيها وعيّن المخطوط منها والمطبوع وذكر مواضع خزن المخطوط ومواقع نشر المطبوع . وكنا نود أن يجعل المؤلفين مسرداً آخر يرتبهم فيه على تعاقب السنين . ونضيف الى ثبت تلك التواليف « السياسية في ترتيب السياسة » المعروف بامر الاسرار لارسطوطاليس « تعريب يحيى بن البطريق . وقد عثرنا على تلك الرسالة المخطوطة في مكتبة بلدية الاسكندرية ، وهي ضمن مجموعة رقها ٣٦٤١١ ج . وفي « كشف الظنون » ط مصر ج ٢ ص ١٤٩ ان لارسطو « الرياسة في السياسة » ترجمة مولانا نصوح المعروف بتوالي المتوفى سنة ١٠٠٣ . وفي « كشف الظنون » أيضاً ج ١ ص ٤٨٠ وج ٢ ص ١٤٩ كتب أخرى في فن السياسة لم يذكرها صاحب التثبت ، فلتراجع ولتتعقب

— الجزء التاسع والعاشر : أثبت كوركيس عواد من أهل التنقيب في بغداد مسرداً على حروف الهجاء أدرج فيه اسامي الكتب وعنوانات الفصول والنبد الموضوعات في « الحسبة الاسلامية » الجارية الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد رتب الاسامي والعنوانات



على صنوف ثلاثة : الكتب القديمة في الحسبة ثم الفصول والنبذ القديمة في الحسبة ثم الكتب الحديثة في الحسبة . ولم يفته أن يبين المطبوع من تلك التوايف والرسائل وأن يرشد الى خزائن المخطوطات او مظان ورود ذكرها إلا أنه لو صنع مسرداً لاسماء المؤلفين بأرقام ترجع الى أرقام يجعلها للأسماء والعنوانات ل زاد في تقريب المأخذ

ووصف عمر رضا كحاله مخطوطاً في ثلاثين صفحة للسيوطي مخزوناً في الظاهرية بدمشق عنوانه « المستطرف من أخبار الجواري » فصل منه أخبار الإماء التي لم يترجن في كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة ونقل خلاصتها . هذا وزيد أن بروكلن لم يذكر ذاك المخطوط في تاريخه ولا في تكملة تاريخه وقد اطلعنا على المخطوط في اثناء اقامتنا بدمشق هذا الخريف لاجل البحث عن مصادر جديدة لتاريخ الغناء العربي فأصبنا فيه فائدة وإن يسيرة

— الجزء الحادي عشر والثاني عشر : للأثير مصطفى الشهابي تحقيقات في علم النبات استخرجها من معجم له في « الألفاظ الزراعية » قريب عهد البروز قرأى أن يبذلها على منبيل التمثيل . وقد دارت التحقيقات في هذا العدد حول اسماء اشجار الفواكه مثل القراصيا والكركز والنارنج والبرتقال ، والليمون الهندي وليون الجنة . وفي جلها فوائد جديدة وصنف ميخائيل عواد رسالة جامعة في قصة ذلك القص العجيب من الياقوت الاحمر الذي ذاع ذكره في الحضارة الاسلامية وعرف بالجبل أو الجبل . واصله من اعلاق الفرس ثم انتقل الى اصابع خلفاء بني العباس وانسل منها الى اصابع امراء بني بويه وغيرهم في البلدان الاسلامية . وفي كل ذلك نوادر وطرائف مستخرجة من كبرى دواوين الاخبار . ونحن نرشد الاستاذ هوداً الى فصل آخر في شأن ذلك القص الكريم يجده في « التبصر بالتجارة » للمحافظ ( دمشق ١٩٣٢ ص ١٠ المتن والحاشية )

\*\*\*

بقي أن نثمة رسائل منفرشة في أكثر من عدد ، على تتابع ، نذكر منها : — « بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية ، ونظرات فيها » للاب انستاس ماري الكرملي : يناظر الاب في هذه الرسالة الأستاذ بندلي جوزي من جامعة باكو في ألفاظ يردها الأستاذ الى اليونانية . وفي الرسالة استدراكات وتحريرات حقيقة بأن يؤخذ بها ، تدل على غزارة علم الاب وامعانه في التدقيق . ومن الأمثلة على ذلك أنه يرى أصل كلمة « بلقيس » من Pallèks, ekos ومعناها صبية ، ويقول ، لا من Pallake, ès لأن هذه تعني الزانية والعاهرة . ثم يزيد معللاً : « ان ( بلقيس ) كانت ملكة سبأ ، والعرب أباة النفس لا يملكون



عليهم امرأة تكون ساقطة الآداب والأخلاق». هذا وهل لنا أن نذكر الأب الفاضل بنص آخر في أمر «البرس» وهو ضرب من الثياب، يجده في الجزء الثالث من كتاب «نظام الغريب» للربيعي (الطبعة الأولى، القاهرة، ص ٧١)

— «الفصيح والمولد في كلام أهل الغوطة» لحمد كرد علي. وهي رسالة تثبت لهجة أهل الغوطة من ظواهر دمشق، مع اثبات المادة فعلاً كانت أو اسماً ومع إيراد عبارة اللغويين بكاملها أو مع تعليق إذا وجب التعليق. والرسالة جلية من حيث أنها تبين ما بقي من الفصيح في لغة فلاحي الغوطة وما طرأ عليها من الدخيل من جانب الإرامية والفارسية. وقد انكسرت الرسالة على أبواب تتدرج من «خلق الإنسان» حتى «المكاييل والموازين والمقاييس ثم الألفاظ الإسلامية»

ومما يورث الأسف أن الألفاظ أدرجت متتابعة متباعدة على غير ترتيب في الحروف وتنسيق في الطباعة، مما لا ييسر التفهيم ولا يهون القراءة

— «القسم الضائع من كتاب «الوزراء والكتاب» للجهمشاري، لميخائيل عواد. يجمع المصنف في هذه الرسالة أخباراً استقاها أهل التاريخ من كتاب الجهمشاري وسقطت هي من الكتاب نفسه المطبوع في مصر. وقد استخرجها المصنف من نصوص صريحة وردت في أمثال كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي، ومعجم البلدان ومعجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ثم رتبها بحسب تلاحق تواريخها جرياً على أسلوب الجهمشاري نفسه. ومما جاء به أخبار ترجع إلى عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمعتمد والمعتضد

— «رسالة الطرق» لسليم الجندي. وهي رسالة يريد صاحبها أن تكون جامعة للألفاظ الدالة على أنواع الطرق وأجزائها وأحوالها وما كان منها في سهل أو جبل أو رمل أو واد أو نحو ذلك. وقد رتبها على حروف الهجاء. والذي حداه إلى تصنيف الرسالة أنه «لم يعثر على كتاب أو رسالة للمتقدمين تختص بهذا الغرض». وفي المأمول أن يثبت المصنف مراجعه يوم يفرغ من الرسالة

— «مقامات ابن حمويه الجويني» للأب انستاس ماري الكرملي. انصرف قلم الأب إلى دراسة طرف من مقامات الجويني وقد أصابها مخطوطة في خزانة صاحب العالي محمد رضا الشبيبي العراقي. وكان الجويني من الرؤساء والمقدمين وقتل سنة ٦٤٧. وقد وصف الأب المخطوط الفريد. وترجم لمؤلفه ولوالده ثم نشر نبذاً متفرقة مجتزأة من ورائها فوائد لغوية وعمرانية مثل أسماء أرباب الصناعات والمهن وأسماء ألوان الطعام، وعلق عليها جميعاً فأفاد



## ١ - مواعيد

ديوان شعر — من منشورات دار المكشوف ببلنات

صفحاته ٧٦ من القطع الصغير — لصالح لبكي

لما قال المتنبي في كافور داليته المشهورة ذكر فيها « مواعيد » كافور فقال :

أمسيت أروح مثرٍ خازناً ويداً أنا الغني وأموالي المواعيد

وغرضه ان أمواله مواعيد كافور وهي لا تحتاج الى أن تقبض عليها يد أو يحفظها خازن . . . . . ولكن « مواعيد » الشاعر لصالح لبكي هي مواعيد صادقة لأنها خرجت من قلب موسوم بالصدق في إحساسه وتعبيره

ولم يكن صالح لبكي محتاجاً الى تقديم حين أوجز رشدي معلوف الإشارة الى شعره ، ولكن الناس ألفوا التمهيد عن الرجل الذي يقرون . وكانت توطئة المعلوف للديوان قوية ، وخاصة حين تكلم عن « عمارة الحضارة » و « ثروة الانسانية »

وليس شعر هذا الديوان الجديد طويل النفس ، أو مترامي المدى ، فهو اثنان وعشرون قصيدة ، بلغ طول أقصرها ثلاثة أبيات وأطولها تسعة وعشرين بيتاً ، ومتى قيس الشعر بالطول والقصر ؟ ومتى كان ميزان الجودة فيه البيت أو الابيات ؟ ألم يقل الشاعر القديم

شعرٌ على قلته جيدٌ والشعر لا يمتاز بالطول

وكذلك كان شعر « مواعيد » فهو جيد على قلته ، وتمتاز موضوعاته بدلالاتها على يقظة الاحساس في الشاعر ، ومرهف التأثر فيه . فهو يبكي الطيور حين تموت بقصيدة عنوانها « موت الطيور » ويودع الورود الذابلة حين تموت بقصيدة عنوانها « موت الورود » ولكنه يودع فيها السنا واللون والرونق لأنها فانية . . أما الطيب فهو خالد يعبق مع ريح الصبا اذا جرت ، وكذلك الشاعر . . يطبق عينيه للموت فتنتطوي معه المنى والحلم الريق والרגبات الجوائش . أما الحبيب فهو الشذا كأنه طيف الهنا « الازرق » . ولعل الاستاذ « لبكي » اضطر الى وصف الطيف بالازرق للقافية !!

وقصيدته « الى الأرض » في أولها « ترابية الارض » وفي آخرها سماوية الافلاك ، وما أصدقه حين يوازن بين الارض واللود والشاعر أبي الآمال بقوله : —

يا أرض هأنا حافلٌ بجميع ما بك من تحني

تلدين ثم تشيعين بنيك من دفن لدفن

وأنا أبو الآمال كم شيعتُ من أمل أغن



وقصيدة « عرس العقبان » تعبير صادق عن حالة الانسان اليوم في مجزرة هائلة تجدد العقبان والديدان في ضحاياها فرحاً وعيداً. وقد استعمل الشاعر فيها كلمة « تجنن » وهي على عربيتها أقرب الى استعمال العوام، ويلاحظ ان الشاعر كان مخطئاً على البشرية حين نظم هذه القصيدة، فقد حشاها بكلمات « التجنن » والديدان و « النتن » و « القذارة »، ليصور الانسان في أقبح صورة وأبشع منظر. ولكن الصورة كانت — والحق يقال — كريمة الى النفوس . . .

أما قصيدة « مكري » فليأذن لنا الشاعر ان نعتب عليه في بعض أبياتها، فهو يغرق يومه في الخمر فلا يدكر، ويقول: —

فأرسل الضحكة حتى يستفيق الحجر  
أضحك من نفسي ومن هواجمي فأكثر  
أضحك حتى ينقضي ليلى ويأتي السحر  
فإن أتى فخصة وأدمع وذكر  
كأن مابي نغم مشوة مزور

ولقد كان حسان بن ثابت يشرب الخمر فيقول:

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسدأ ما ينهنها اللقاء

وكان عنتره يشربها فيقول:

فاذا سكرت فاني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

وكان اليشكري يشربها فيقول: —

فاذا شربت فاني رب الخورنق والسدير

أما أغاني الامتاز لبكي الوطنية فتمثلها أغنيتان الى كل جندي من لبنان، هما أحسن ما يتلى على آذان هذا الشعب الأبي الكريم

## ٢ — للفكر العربي

بين ماضيه وحاضره لسامي الكيالي مطبعة المعارف بمصر — صفحاته ٩٦ من القطع المتوسط

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن الفكر العربي بل هو مشترك في بناء هذا الفكر بمجملته « الحديث » التي تصدر في حلب فتقدم الى المكتبة العربية مدداً صالحاً من ثقافة طيبة يشترك في اعدادها للقراء طائفة من أعلام الادب والبيان والفكر في مختلف الاقطار العربية يبحث هذا الكتاب في تفرق مسائل تتصل بالفكر العربي أوثق اتصال ولم يشق



الاستاذ الفاضل تلك المسائل إلا ليصل منها الى طريقة يحسب بها العربي تراثه الضخم القديم وليس هذا التراث القديم موضعاً للانكار ، فالمؤلف يسوق من اقوال علماء الغربيين ما يقوم شاهداً على كينونة الفكر العربي ويستشهد في أول صفحة من الكتاب بما ذكره ويلز في هذا الصدد

وفي ثاني فصول الكتاب يعرض المؤلف لما اتهم به ابن خلدون العرب من التوحش والانتهاك والعبث ومنافاة طبائعهم للعمران، فيرد على المؤرخ الكبير اتهامه ببراهين فيها كثير من العقل وكثير من العاطفة ، ثم يخشى ان تجنح به عاطفته فيستشهد بكلام جميل للشاعر الاسباني ( فيلاسباسا ) وهو كلام فيه كثير من الشعر والخيال ، وفيه قليل جداً من مادة التاريخ . ثم يعود المؤلف فيؤيد حججه بما كتبه الدكتور عبد الوهاب عزام ردّاً على ما نقله المستشرق الروسي بارتولد في كتابه ( تاريخ الحضارة الاسلامية ) . وبما كتبه الدكتور طه حسين نقضاً لمزاعم ابن خلدون

والاستاذ السكيالي يرى لاجياء الثقافة العربية ان يحصر العمل في ثلاثة أمور : — البحث عن نفائس المخطوطات التي أضاعها أهلها أو دفنوها في غيابات الخزانات ، ودراستها وتنظيمها ونشرها ضرورة لنهضتنا الحالية ، واعادة طبع ما طبع من نفائس كتبنا على طريقة المستشرقين لا على طريقة جهلة الوراقين

وذلك كلام جميل ، وعمل في مقدور ورثة الفكر العربي أن يعملوه متى صحت العزائم وصدقت النيات ، واستحووا أن يقال فيهم : تراث ضيعه ذووه

وفي الكتاب فصل عن « البلديات » أو المجالس البلدية عند العرب : وهو فصل طريف عن وظيفة « الحسبة » التي يشبه عملها من نواح كثيرة عمل المجالس البلدية في زماننا هذا ، وهذا الفصل هو عرض جميل لكتاب « معالم القرية في أحكام الحسبة » الذي ألفه ابن الاخوة القرشي ، ونشره المستشرق الانكليزي روبن ليوى في أصله العربي وترجمته الانكليزية

ولم يفت الاستاذ السكيالي أن يتحدث في كتابه عن مصر والوحدة العربية ، ويستشهد بكلام لعبد الرحمن الرافعي بك في كتابه تاريخ الحركة القومية ج ٣ عن مشروع لمحمد علي باشا كان يتناول انشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم اليها البلاد العربية في افريقيا واسيا ويستشهد بكلام آخر ، وفي هذا الفصل توضيح لفكرة الفرعونية التي يتخوف السوريون والعراقيون من خطرها كلما تحدث المصريون عن تاريخهم القديم ، وفيه توضيح للفكرة العربية يطمئن اليه المصري كل الاطمئنان . ويلمح المؤلف — في ختام هذا الفصل — من خلال الغيب بشائر مستقبل سعيد



في هذا الكتاب إيمان قوي يطفر من بين السطور طفراً ، إيمان بالماضي المجيد ، وإيمان بالحاضر العتيق ، وإيمان بالغد الوليد ، وفي المؤلف تفاؤل فسيح في المستقبل ، لم يمينه على تكهن ولا تحرص ولكن بناء على قياس على الماضي ونظر في قراءة تاريخ العرب ، وهي على كل حال فراسة « مؤمن » والمؤمن لا تكذب فراسته — محمد عبد الغني حسن

## مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية

### الجزء الثالث

سبق لنا أن ننوه بهذه المجلة الجليلة التي يخرجها الأستاذ الدكتور زكي عبد المتعال حميد كلية الحقوق بجامعة فاروق الاول بالاسكندرية . ويمرنا أن يصلنا العدد الثالث لشهر يولييه وسبتمبر من سنة ١٩٤٣ . وهذا العدد على ما كان عليه السابقان من الهمة في البحث والدقة في التأويل . ومن موضوعاته : نظام قاضي التحقيق في القانون المختلط ، للدكتور محمد عبد المنعم رياض . والتكييف القانوني للالتزام الصربي ، للدكتور محسن شفيق . وضرورة وضع تشريع تنفيذي لبعض احكام اتفاقات مونترية للاستاذ الدكتور حامد زكي <sup>(١)</sup> . وعلاقة الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني ، للاستاذ الدكتور حسن احمد البغدادي ( باللغة الفرنسية ) . وبلي تلك المقالات والمباحث تعليقات على الاحكام سواء في المواد المدنية ام المواد الجنائية ، وقد اشترك في التعليق الاستاذ الدكتور حسن احمد البغدادي ، والدكتور محمد الملاح ، كتب الاول في الاختصاص التشريعي والقضائي بالنسبة لموارث غير المسلمين ووصاياهم ، وكتب الثاني في الرضاء في جريمة هتك العرض ، واشترك الجنائيتين المقترفتين في بعض الاركان ، وفي القتل الخطأ والضرب والجرح المفضي الى الموت

واختتم العدد بمراجعات لبعض التأليف القانونية . والعدد في جملته من الطراز العلمي الاول ، وهو من مآثر أعلام اهل القانون في مصر ، ولا شك في أن مخرجه العالم المجتهد حقيق بالثناء .

ب .

(١) يجري هذا التشريع الى ثلاثة : (١) منع المحاكم المختلطة من الفصل بطريقة موضوعية في دفع الاحوال الشخصية التي تدخل في اختصاص جهات قضائية أخرى (٢) التزام المحاكم المختلطة بالاحكام الصادرة من جهات الاحوال الشخصية في حدود اختصاصها ثم وقف مراقبة المحاكم المختلطة عند حد الشروط الخارجية — (٣) عند تنازع احكام المحاكم المختلطة مع احكام المحاكم الاهلية بمناسبة الفصل في مسائل الاحوال الشخصية للمصريين يجب تغليب الثانية . ويحسن في زيادة الطمأنينة ان يباح في جميع الاحوال لكل ذي مصلحة وللنيابة العمومية أيضاً رفع نقض عن الحكم الاهلي بسبب هذا التنازع حتى اذا تأيد الحكم الاهلي أمام محكمة النقض يجب تنفيذه حتماً



## الفن ومذاهبه في الشعر العربي

للدكتور شوقي ضيف — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

هذا الكتاب هو الرسالة التي تقدم بها المؤلف الى جامعة فؤاد الاول لنيل درجة الدكتوراه والفضل في نشر هذه الرسالة في حجمها الكبير وعلى ورقها الجميل يرجع الى رجلين اثنين : أولهما صاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا وثانيهما صاحب العزة الدكتور طه حسين بك . اما الأول فقد جاد بماله وطبع الرسالة على حسابه ، وأما الثاني فقد اختارها لتطبع على حساب الأول ما دام الاختيار متروكاً لعميد الادب العربي

والرسالة كتابان في مجلد واحد : الكتاب الاول في مذهب الصنعة ومذهب التصنيع وتحتة فصول خمسة في الصنعة في الشعر القديم والموسيقى والصنعة والتعقيد في الصنعة والتصنيع ، والكتاب الثاني في مذهب التصنيع وتحتة فصول خمسة في التصنيع ، والثقافة والتصنيع والتلفيق والتعقيد في التصنيع ، يلي ذلك تذييل في الأندلس وتقليدها المشرق والغناء الأندلسي والموشحات والأزجال . وفي الخاتمة كلمة عن الشعر العربي الحديث ومحاولة الشعراء التجديد والطريق الى التجديد المستقيم . ولكن المؤلف هنا يتهم — في غير احتراس — نماذج شعراء المهجر بالخلط السقيم ، وهي تهمة كان يجب التمثل في الوقوف عندها لأنصاف من يستحق الانصاف منهم مثل ايليا أبو ماضي

لقد قرأ صاحب الرسالة كثيراً من الكتب لأعداد رسالته ولاشك أن ذلك اقتضاه جهداً ووقتاً طويلاً ، وهو يدعم المرجع بذكر الجزء والصفحة فلم يترك لطالب التوسع حاجة في النفس والكتاب حافل بالأمثلة من الشعر العربي في مختلف عصوره ، وقد أحسن المؤلف في ضبط الشعر ما استطاع حتى لا يعنى القارئ العادي في قراءته . وللمؤلف بصر خاص بفهم الشعر وتذوقه ونقده فهو حين يختلف مع بعض النقاد يذكر رأيه هو (ص ١١٨) والكتاب في جملته مجهود يستحق صاحبه من أجله الثناء وما دامت نيته خدمة الشعر العربي فإن الشعراء والنقاد يرحبون به كل الترحيب (م)

## الى مواطني العالم الجديد

رسالة باللغة الفرنسية بقلم « ليون بيلوس »

مؤلف هذا البحث واقف على الحالة الاقتصادية والسياسية للعالم في الوقت الحاضر . وهو يدعو الى حلول شخصية جديدة يعمل فيها الى التوفيق بين مختلف الاتجاهات الفكرية الحاضرة : بين الرأسمالية والاشتراكية ، بين الفردية والحكومية الخ . ولكن لعل مقترحات المؤلف لا تخلو عند التطبيق من اثاره مشكلات وصعوبات من قبيل ما يعانيه العالم الآن



## مكتبة الاسكندرية في العالم القديم

هو بحث طريف في تاريخ الاسكندرية القديم تناول المكتبة العظيمة التي ظلت خلال ستة قرون كعبة العلماء حتى ذهبت طعمة للنار مع الاسطول المصري في الحرب التي شنها يوليوس قيصر على الاسكندرية . ولكن المؤرخين الرومانيين طووا صدر الكتبان على هذا الحادث حرصاً على تاريخ القياصرة من ان تلحق به وصمة كهذه حتى راجت في العصور الوسطى رواية لا تستند الى سند تاريخي تنسب للعرب أمر إحراق هذه المكتبة . وقد تناول مؤلف هذه الرسالة الامتاز محمد احمد حسين تاريخ هذه المكتبة بالبحث ثم تناول هذه الرواية العجيبة بالتحليل والتحصيل فدفع هذه التهمة عن العرب وأورد في ذلك بعض آراء الدافعين من مؤرخي الافرنج مثل ادورد چبون والمستشرقة الاميركية ماكنزن وأثبت زوال هذه المكتبة قبل دخول العرب مصر . والرسالة تقع في ٨٦ صفحة . وقد قدم لها المسيو ا . كومب بفصل في الفرنسية عن مكتبة البلدية في السنين الاخيرة

## عالم الذباب

تأليف أمير اللواء الدكتور فائق شاكر — صفحاته ٨٨ من القطع الكبير — مطبعة الجيش ببغداد

هي رسالة وضعها معادة امير اللواء الدكتور فائق شاكر مدير الامور الطبية بالجيش العراقي تناول فيها حياة الذباب على ضوء الآراء العصرية القائمة على أسس عملية محضة وبيّن أساليب نقله للأمراض وطرق الوقاية منها وقد قدم لها ببحث طريف فيما ورد فيه شيء عن الذباب في بطون الكتب المقدسة وعلى صفحات التاريخ والآداب العربية والافرنجية

## أهدافنا

تأليف الدكتور سامي شوكة — صفحاته ١١٢ من القطع الكبير  
طبع بمطبعة التفيض الالهية ببغداد

الدكتور سامي شوكة من رجالات العراق المصلحين ومن العاملين على تنقيف الجيل الجديد بثقافة تجمع الى سعة الاطلاع الايمان الحق بالقومية العربية فهو يجاهد في سبيل فكرته ومبدإه جهاد الزعيم الخالص . وقد قامت مجلة « المعلم الجديد » التي تصدرها وزارة المعارف العراقية بجمع طائفة من محاضراته ومقالاته وأحاديثه ثم أخرجتها للناس دروساً وخططاً جديرة بالدرس والتحقيق

وقع في الصفحة ٣٥ في السطر العاشر خطأ مطبعي هو مسحوق بالكهرية وصوابه مشحون بالكهرية .



## فهرس الجزء الاول

من المجلد الرابع بعد المائة

- ١ عجائب البنديسيلين — العقَّار الذي ينافس عقاير « السلفا »
- ٦ فلاسفة الرواق للدكتور عثمان أمين
- ١٤ العمران والطيران بعد الحرب
- ١٧ غزو روميا تفشل فيه ثلاث دول في ثلاثة عصور : لادوار مرقص
- ٢٤ وصف المغيب (قصيدة) : لعدنان مردم بك
- ٢٦ نشوء الديموقراطية وتطورها : لناشد سيفين
- ٣٢ غاز الحامض الكربونيك ومنافعه في الحرب الحالية : لعوض جندي
- ٣٦ الدين والفلسفة : لمحمد يوسف موسى
- ٤٢ معدن المغنيسيوم — خفيف ، مشتعل وافر لازم في الحرب والسلام
- ٤٥ حرف الجيم : لعبد الله أمين
- ٥١ قصة الاساطيل الاسلامية : لمحمد عبد الغني حسن
- ٥٧ ظاهرة التلبيث وما يتبعها من ظواهر : لآحمد فهمي أبو الخير
- ٦٣ سور الصين ومنشئه : لرشوان أحمد صادق
- ٦٧ فلسفة « كآن » في الهند وفي الغرب : للسيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي
- ٧٢ نباتات الصناعة في مصر قديماً وحديثاً : لمحمود مصطفى الدمياطي
- ٧٤ طبيعة المدن الفاضلة : لحسن أنيس
- ٧٨ تطور الخدمة الاجتماعية في بريطانيا العظمى : لفؤاد محمد شبل

- ٨٣ باب المراسلة والمناظرة \* البدييات والهندسات غير الاقليدية : لنقولا الحداد . معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية لمحمود مصطفى الدمياطي
- ٨٧ باب الاخبار العلمية \* المعادن المعجبة : الفيتاليوم والاسنان الصناعية . المعادن وصناعة الزجاج . البلاتين في الحرب . البلاديوم يحل محل البلاتين . الكولمبيوم في تقسية الصلب . سبيكة البزموت ومنافعها . السلينيوم الحساس بالضوء . البريليوم فلز عجيب . حاجة الانسان الى الاملاح المعدنية . اليهود . قوة الصوت . شلل الاطفال وعلاقته بالطعام
- ٩٣ مكتبة المقتطف \* مجلة المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٤٣ : مراجعة للدكتور بشر فارس . — ١ مواعيد . ٢ — الفكر العربي : لمحمد عبد الغني حسن . مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية الجزء الثالث . الفن ومذاهبه في الشعر العربي . الى مواطي العالم الجديد . مكتبة الاسكندرية في العالم القديم . عالم الدياب . أهدها .